ERF Working Papers Series

Women, Gender, and the Iraqi Uprising: Inequality, Space, and Feminist Prospects (In Arabic)

Asma Jamil Rashid and Zahraa Ali

ECONOMIC RESEARCH FORUM
منتدى البحوث الاقتصادية

Working Paper No. 1617
December 2022

WOMEN, GENDER, AND THE IRAQI UPRISING: INEQUALITY, SPACE, AND FEMINIST PROSPECTS (IN ARABIC)

Asma Jamil Rashid and Zahraa Ali

Working Paper No. 1617

December 2022

Send correspondence to:
Asmaa Jameel Rasheed
Baghdad University, Iraq
Email: asmaajameel71@yahoo.com

Abstract

This study attempts to explore the meaning, content and importance of women's participation in the October Uprising by providing insights that help explain and analyze the complex conditions of women in Iraq and analyze the social, economic and political context and its repercussions on their lives, including gender disparities. The study relies on a group of field and analytical research conducted by the two researchers to investigate the situation of women in Iraq and in various fields, in addition to field research that dealt with the participation of women in the October protests. It is based on available quantitative and qualitative data to analyze the differences between the sexes. Instead of dealing with the concept of inequalities in a limited sense (i.e., as differences between women and men), this study uses an approach that relies on relational feminist theory - or intersectionality - with a focus on the social history of women and the feminist political economy because of the latter's ability to provide an understanding of the nature of the complex relationship between structures. Social, political, and economic power, resources, access to it, and the person responsible for it, as well as his ability to highlight gender inequalities as one of the reasons that provided for the involvement of women, especially from the young generation, in the protest act, even if he was not the driving force behind this act. In addition to feminist political economy and the common dimension, this research uses the concept of (space production) by Henri Lefebvre in analyzing the protests and their gender dimension. We will employ this concept to emphasize the fact that space is a product of a society that is experienced, conceived and perceived together. According to the sociologist Henri Lefebvre, the social space is socially produced and constructed, and cannot be reduced to its physical construction, nor to economic production, but rather it is developed through a social, material and mental dynamic, which is the fruit of collective values and representations that are experienced, imagined and understood. Lefevre also theorized the concept of marginal social spaces of impossibility, in which revolutionary social imaginations and utopias emerge from people's spontaneous actions rather than through a conscious plan. Henri Lefevre argued that it is not the revolutionary movement that produces space but the discontinuity of the spaces themselves that creates something different and a substitute for the dominant force. The public space is the place for negotiation of the values, ideologies and norms that form the "social contract" of a society. The occupation of space itself allows the individuals who participate in it to contribute to the formation and negotiation of this contract.

JEL Classifications: P1

Keywords: Women, Gender, Inequality, Social Contract

ملخص

تحاول هذه الدراسة ان تستكشف معنى ومضمون وأهمية مشاركة النساء في انتفاضة أكتوبر من خلال تقديم رؤى تساعد على تفسير وتحليل الاوضاع المعقدة للنساء في العراق وتحليل السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وانعكاساته على حياتهن بما في ذلك التفاوتات الجندرية. تعتمد الدراسة على مجموعة البحوث الميدانية والتحليلية التي قامت بها الباحثتان لتقصي أوضاع النساء في العراق وفي مجالات مختلفة الى جانب بحوث ميدانية تناولت مشاركة النساء في احتجاجات أكتوبر. وتستند على ما توفر من البيانات الكمية منها والنوعية لتحليل التفاوتات ما بين الجنسين. وبدلا من تناول مفهوم التفاوتات بالمعنى المحدود (اي كفروقات بين النساء والرجال) تستعين هذه الدراسة بمقاربة تعتمد على النظرية النسوية العلائقية - او

التقاطعية- مع التركيز على التاريخ الاجتماعي للنساء والاقتصاد السياسي النسوي لما يمتاز به الاخير من قدرة على تقديم فهم لطبيعة العلاقة المعقدة بين البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للسلطة والموارد والحصول عليها والمسؤول عنها فضلا عن قدرته على ابراز التفاوتات الجندرية كأحد الاسباب التي هيأت لانخراط النساء خاصة من جيل الشابات في الفعل الاحتجاجي حتى وان لم يكن هو الدافع المحرك لهذا الفعل. بالإضافة الى الاقتصاد السياسي النسوي والبعد المشترك، يستعين هذا البحث بمفهوم (انتاج الفضاء) لهنري لفيفر في تحليل الاحتجاجات وبعدها الجندري. وسنوظف هذا المفهوم للتأكيد على حقيقة أن الفضـــاء هو نتاج ومنتج للمجتمع الذي تتم تجربته وتصـــوره وإدراكه معاً. وطبقا الى عالم الاجتماع هنري ليفيفر، فإن الفضـــاء الاجتماعي يتم إنتاجه وبناءه اجتماعياً، ولا يمكن اختزاله إلى بنائه المادي، ولا إلى الإنتاج الاقتصـــادي، بل يتم تطويره من خلال ديناميكية اجتماعية ومادية وعقلية، وهي ثمرة القيم والتمثيلات الجماعية التي تتم تجربتها وتصورها وفهمها. كما وضع ليفيفر أيضاً نظرية لمفهوم الفضاءات الاجتماعية الحدية اللإمكانية، حيث ينبثق الخيال الاجتماعي الثوري واليوتوبيا من أفعال الناس العفوية وليس من خلال خطة واعية. وجادل هنري ليفيفر بان الحركة الثورية ليست هي التي تنتج الفضاء ولكن انقطاع الفضاءات نفسها هي التي تخلق شيئاً مختلفاً وبديلاً عن القوة السائدة. والفضاء العام هو مكان تفاوض القيم والايديولوجيات والاعراف التي تشكل "العقد الاجتماعي" لمجتمع ما. فاحتلال الفضاء نفسه يسمح للأفراد الذين يشاركون فيه المساهمة في تشكيل وتفاوض هذا العقد.

المقدمة

في تشرين 2019، انتشرت حركة احتجاجية ضخمة في وسط وجنوب العراق، شارك فيها المحتجين من مختلف الطبقات والفئات العمرية والخلفيات التعليمية. وكان من ابرز سماتها الحضور القوي للنساء، ولا سيما الشابات. اذ اندفعت النساء من تلقاء انفسهن واتخذن قرار الاحتجاج دون وجود جهة تنظمهن أو تدعوهن للانخراط. لم تكن مشاركتهن شكلية فقد رابطت المتظاهرات في ساحات الاحتجاج معتصمات وظهرت الشابات قائدات رأي وقارعات طبول يعتلين المنصات بالخطب والهتافات. ولم تخرج اكثر النساء لتعبر عن مطالب خاصة بهن وانما تبنين مطالب واهداف الحراك الذي قاده الشباب. واصطففن مع شعاراته الموحِّدة "إنريد وطن" و "نازل آخذ حقي."التي لم تسمح بظهور مطالب خاصة بطبقة او فئة معينة. وجعلت من الممكن للنساء والرجال من مختلف الخلفيات الاجتماعية والايديولوجية أن يجتمعوا دون الاضطرار إلى التعامل مع قضايا تثير الانقسام والاختلاف.

غير ان غياب الاجندة النسوية لا يعني غياب البعد الجندري لانتفاضة اكتوبر، فلغة وخطاب السلطة السياسية التي قمعت الانتفاضة كانت جندرية بامتياز تتهم المتظاهرات والمتظاهرين بالفساد الاخلاقي وخرق المبادىء الدينية والاجتماعية التي طالما حدت من الاختلاط وحددت العلاقات ما بين الجنسين. واستجابة لهذا القمع نظمت في فبراير 2020تظاهرة نسائية حملت عنوان "بناتك يا وطن". ورفعت فيها شعارات تخص النساء مثل "صوت النساء ثورة". من جهة أخرى فأن البعد الجندري لا يقتصر على مشاركة النساء فقط بل يتعدى ذلك الى ما انتجته الاحتجاجات بوصفها ظاهرة حضرية من فضاء اجتماعي بديل استعادت فيه المتظاهرات والمتظاهرون فضاءً كان معسكراً ومخصخصاً وذكورياً. وانتجوا فضاء عام وشامل وبعيد عن العنف المسلح، يمكن للنساء فيه ان تتحدى الأعراف الجندرية المهيمنة والمشارَكة بفاعلية في بناء نسيج اجتماعي غير (او اقل) أبوية.

تحاول هذه الدراسة ان تستكشف معنى ومضمون وأهمية مشاركة النساء في أنتفاضة اكتوبر من خلال تقديم رؤى تساعد على تفسير وتحليل الاوضاع المعقدة للنساء في العراق وتحليل السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وانعكاساته على حياتهن بما في ذلك التفاوتات الجندرية. تعتمد الدراسة على مجموعة البحوث الميدانية والتحليلية التي قامت بها الباحثتان لتقصي أوضاع النساء في العراق وفي مجالات مختلفة الى جانب بحوث ميدانية تناولت مشاركة النساء في احتجاجات اكتوبر. وتستند على ما توفر من البيانات الكمية منها والنوعية لتحليل التفاوتات ما بين الجنسين.

وبدلا من تناول مفهوم التفاوتات بالمعنى المحدودة (اي كفروقات بين النساء والرجال) تستعين هذه الدراسة بمقاربة تعتمد على النظرية النسوية العلائقية -او التقاطعية- مع التركيز على التاريخ الاجتماعي للنساء والاقتصاد السياسي النسوي لما يمتاز به الاخير من قدرة على تقديم فهم لطبيعة العلاقة المعقدة بين البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للسلطة والموارد والحصول عليها والمسؤول عنها فضلا عن قدرته على ابراز التفاوتات الجندرية كأحد الاسباب التي هيأت لانخراط النساء خاصة من جيل الشابات في الفعل الاحتجاجي حتى وان لم يكن هو الدافع المحرك لهذا الفعل. بالاضافة الى الاقتصاد السياسي النسوي والبعد التقاطعي يستعين هذا البحث بمفهوم (انتاج الفضاء) لهنري لفيفر في تحليل الاحتجاجات وبعدها الجندري. وسنوظف هذا المفهوم للتأكيد على حقيقة أن الفضاء هو نتاج ومنتج للمجتمع الذي تتم تجربته

وتصوره وإدراكه معاً. وطبقا الى عالم الاجتماع هنري ليفيفر، فإن الفضاء الاجتماعي يتم إنتاجه وبناءه اجتماعياً,1 ولا يمكن اختزاله إلى بنائه المادي، ولا إلى الإنتاج الاقتصادي، بل يتم تطويره من خلال دينامية اجتماعية ومادية وعقلية، وهي ثمرة القيم والتمثيلات الجماعية التي تتم تجربتها وتصورها وفهمها. كما وضع ليفيفر أيضاً نظرية لمفهوم الفضاءات الاجتماعية الحدية اللإمكانية، حيث ينبثق الخيال الاجتماعي الثوري واليوتوبيا من أفعال الناس العفوية وليس من خلال خطة واعية. وجادل هنري ليفيفر[2] بان الحركة الثورية ليست هي التي تنتج الفضاء ولكن انقطاع الفضاءات نفسها هي التي تخلق شيئاً مختلفاً وبديلاً عن القوة السائدة. والفضاء العام هو مكان تفاوض التقييم والايديولوجيات والاعراف التي تشكل "العقد الاجتماعي" لمجتمع ما. فاحتلال الفضاء نفسه يسمح للافراد الذين يشاركون فيه المساهمة في تشكيل وتفاوض هذا العقد.

سنضع اولاً مشاركة النساء في الانتفاضة ضمن سياقها التاريخي والاجتماعي ونجادل بان وضع النساء وطبيعة النظام الابوي في العراق مرتبط بالاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تشكلت من خلال الحروب والحصار الاقتصادي وطبيعة النظام السياسي (الاستبدادي-الريعي ثم الطائفي). فليس من الممكن فهم وتحليل وضع النساء وطبيعة الممارسات والتصورات الجندرية في العراق بمفردها بما ان قضايا النساء والجندر بنية اجتماعية فالبنيوي هو ايضا جندري. سنستكشف ثانيا معنى ومضمون وأهمية مشاركة النساء في الاحتجاجات ونجادل بان الانتفاضة كظاهرة حضرية في الغالب أنتجت فضاءً اجتماعياً. حيث استعاد المتظاهرون فضاءً حضرياً معسكراً ومخصخصاً وذكورياً. من خلال إنتاج فضاء اجتماعي بديل وعام وشامل وبعيد عن العنف المسلح، يمكن للنساء من جميع الفئات تحدي الأعراف الجندرية المهيمنة والمشارَكة بفعالية في بناء نسيج اجتماعي اقل أبوي. أخيراً، نحاول أن نقدم فهم عن غياب الاجندة النسوية أو أجندة قائمة على النساء في الانتفاضة. نزعم أن الخيار الوحيد السائد الذي كان متاحاً للنساء هو ان يضعن مشاركتهن في إطار الوطنية بدلاً من النسوية وبذلك يستطعن ان ينتزعن حق المشاركة أسوة بأية مجموعة اجتماعية أخرى. لذلك لم تكن مشاركتهن الواسعة محددة بالجندر بل شاملة وتحويلية وتمنحهن الفرصة للمساومة مع الابوية السائدة.

التفاواتات الجندرية في العراق

البنيوي هو جندري

إن المقاربة النظرية التي نقترحها هنا تضع بعين الاعتبار السياقية والتعقيد والعلائقية، والتاريخية باعتبارها ضرورية لدراسة قضايا النساء والجندر في أي مكان في العالم. لقد ولد التحليل العلائقي من رحم الدراسات النسوية النقدية التي تأخذ بنظر الاعتبار علائقية انواع من السلطة كالابوية والطبقة الاجتماعية والانتماء الاثني والديني والطائفي والسياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والمجتمعي في تحليل واقع النساء وقضايا الجندر. حيث تشير أنثياس ويوفال-ديفيس، على سبيل المثال، إلى أنه لا يوجد تعريف للنساء غير قائم على الطبقة أو الاثنية أو العمر أو الجنس وما إلى ذلك[3].

[1] Lefebvre, Henri. 1974. *La production de l'espace*. Anthropos.
[2] Lefebvre, Henri. 1974. *La production de l'espace*. Anthropos.
[3] Anthias, Floya, & Davis, Nira Yuval (eds.). 1989. *Woman-Nation-State*. London: Palgrave Macmillan. Yuval-Davis, Nira. 2007. Identity, Identity

ما نطرحه هنا هو أن تناول حياة النساء العراقيات من خلال عدسة معقدة علائقية يعني ترسيخ لتجارب النساء العراقيات في التحليل الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي. وهذا يقتضي اثنوغرافيا متعمقة نطبق عليها عدسة تاريخية – من خلال استخدام التاريخ الاجتماعي والسياسي – حيث نقوم بعناية باستقصاء ما تعنيه العلاقات بين الجندر والطبقة والقرابة والإثنية والدينية والطائفية وطبيعة الدولة والأمة بشكل مختلف في مكان وزمان معينين.

بالاضافة الى المنظور النسوي العلائقي والبعد التاريخي نرى انه يجب الاخذ بعين الاعتبار طبيعة النظام الاقتصادي والسياسي لفهم وتحليل قضايا النساء والتحديات اليومية التي تواجههن والتفاوتات الجندرية. فنهج الاقتصاد السياسي النسوي لا يعني اضافة النساء في منظور اقتصادي تقليدي بل يعني اعتبار الجندر والتنميط الجندري للعمل وللادوار الاجتماعية والتصورات الجندرية كجزء وعامل اساسي في الصعيد الاقتصادي والسياسي. كما اشارن نسويات كثيرات[4] ليس هناك قطيعة بين المجال الخاص والعام فالنظام الرأسمالي مبني على اخفاء العمل المنزلي للنساء الذي لا يعتبر "عمل" بينما يستند اليه بشكل اساسي. فالاقتصاد السياسي النسوي يعتبر الدور الاساسي للنساء في المجال العام والخاص كقوة انجابية وانتاجية ويحلل العلاقة بين النظام الابوي والصعيد السياسي عبر السياسات الجندرية للدولة والاقتصادي عبر طبيعة الانتاج والنظام الاقتصادي وبعدها الجندري. في العراق يجب فهم العلاقة بين وضع النساء وتطور نظام الدولة الريعية من دولة قوية توزع الوظائف والخدمات يلي ذلك ضعف مؤسساتها في سياق العقوبات الاقتصادية الى تفكك الدولة من خلال شرذمة النظام بعد 2003.

من دولة الاستبداد-الريعية الى الشرذمة والخصخصة

ساعد النمو الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الناجم عن عائدات النفط على تحسين ظروف حياة النساء وحقوقهن القانونية خلال السبعينات، وأضعف التمثلات الجندرية النمطية، غير إن طبيعة النظام نفسه كانت تعزز ولو جزئياً الأبوية الجديدة[5]. اذ كان رئيس الدولة بمثابة الأب، الذي يحتكر ويمارس العنف ضد أي شخص يعارض هيمنته. شهدت الثمانينات حرباً مع إيران وعسكرة المجتمع، ادت الى تكريس معايير الذكورة والأنوثة وهياكل السلطة التي يهيمن عليها الرجال وتوطيد النظام للعنف السياسي. وقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في فقدان المكاسب التي تحققت للنساء في العقد السابق.

وعلى الرغم من أن الحرب افرزت ادواراً جديدة للمرأة، تحملت خلالها اعباء الاعالة واضطلعت بأدوار كانت مقتصرة على الرجال ، غير ان سياسات الدولة قدمت صورة الام على حساب الصور الاخرى التي يمكن ان تقدم فيها النساء جزءاً من حركة تطور المجتمع . نظرا للوظيفة الانجابية التي تخدم مصلحة النظام في تعويض النقص الحاصل في الهرم السكاني نتيجة موت الذكور في الحرب، تعززت هذه الصورة بسياسات

Politics and the Constructionism Debate. Paper presented at the BSA conference, UEL; 1997. *Gender and Nation*. London: SAGE.

[4] Delphy, Christine. 2001. L'ennemi principal 2. Penser le Genre. Paris : Syllepse. ; 1998. (2009, 2013) L'ennemi principal. 1. Economie politique du patriarcat. Paris: Syllepse ; Peterson, V. Spike . 2007. Thinking through intersectionality and War. *Race, Gender & Class* (14:3/4) pp. 10-27; 2005. "How (the Meaning of) Gender Matters in Political Economy". *New Political Economy* 10 (4) 499-521.

[5] Sharabi, Hisham. 1988. *Neopatriarchy: A Theory of Distorted Change in Arab Society*. Oxford: Oxford University Press.

تمنح اجازات طويلة عن العمل (اجازات أمومة) وزيادة في الاجور عن كل مولود جديد ، وفرض العقوبات على كل من تتنصل عن هذه الوظيفة عن طريق اللوائح المعروفة لمنع الاجهاض او تداول ادوية منع الحمل.

شهد العراق تدهورا كبيرا في نظامه الاقتصادي **خلال التسعينيات** وهنا لابد من التوقف على الاثر المدمّر للعقوبات التي امتدت نحو 12 عاما والتي أدت في حد ذاتها إلى تدهور النسيج الاجتماعي العراقي و تدمير الدولة كواحدة من مقدمي الخدمات الاجتماعية والاقتصادية الرئيسية التي اعتمدت النساء عليها بشكل كبير. اذ تسبب تفاقم الفقر والأزمة الإنسانية الناجمة عن العقوبات في وضع العراقيات والمجتمع بأسره في وضعية البقاء التي تضمنت المعايير والعلاقات المعيارية الجندرية. واسست لبروز انواع جديدة من الابوية في فترة ما بعد العقوبات رسخها الفقر وتدمير خدمات الدولة ومؤسساتها. كانت عقوبات الأمم المتحدة في الواقع "حرباً غير مرئية"6 دمرت مؤسسات الدولة الأساسية وأغرقت سكان البلاد في الفقر. وأدت الى تآكل القيم الاجتماعية والثقافية الأساسية مع انتشار الفساد والعلاقات القائمة على المصلحة الاقتصادية وتفكك التضامن الأسري في سياق كافح فيه الأفراد لإيجاد وسائل للبقاء. في هذا السياق، حدث انخفاض عام في معدلات الزواج بسبب الفقر، وظهرت زيجات غريبة مثل زواج فتاة صغيرة من رجل ثري، فضلاً عن ارتفاع معدلات الزواج غير الرسمي.

بلغت نسبة الفقر المطلق 89.4% على مستوى الافراد في الحضر و92.5% في الريف، اما على مستوى الاسر فقد بلغت 85.6% في الحضر و89.86% في الريف[7]. وخلق الحصار معاناة كبيرة للعراقيين في موضوع الاستهلاك والدخل تمثلت بإرتفاع الاسعار والتضخم وزيادة الطلب على المواد الغذائية وزيادة نسبة الانفاق على هذه المواد اذا بلغت هذه النسبة في التسعينيات 95%. وتأتي هذه الزيادة على حساب تقليص الانفاق على السلع والخدمات الاخرى غير الاستهلاكية[8]. كرست حالة الفقر الادوار النمطية التي تربط النساء بالعمل المنزلي ، فقلة الدخل مقابل ارتفاع اسعار المواد الغذائية تَطّلب من النساء تحديداً ان تضاعف جهودها في أعمال المنزل لتأمين وجبات الغذاء للعائلة في ظل شحة المواد وارتفاع اسعارها. وكرست النساء خلال فترة الحصار لشؤون البيت والطبخ الذي اصبح خلال العقوبات الاقتصادية لا يشمل اعداد الوجبات فقط وانما اعداد المواد الاولية التي يحتاجها الطبخ، مثل تصنيع معجون الطماطم والاجبان واعداد الخبز وفي هذا السياق اصبح تدبير امور المنزل وادارة التقشف يحتل جل اهتمام ووقت النساء في العراق، وارتبط قيام النساء بهذه الالتزامات، المرهقة والمصنفة على أنها أعمال اقل شانا، بتوزيع السلطة إذ ثمة تراتب بين ادوار الرجل في المجال العام الناتجة عن تحرره من الالتزامات الثابتة التي تستهلك جل الوقت وادوار النساء المنزلية في المجال الخاص والتي تستهلك النساء جسديا ونفسيا وتحرمها من ممارسة الأفعال الأعلى شأناً، وقد أدى هذا التراتب إلى استمرار عملية احتكار الرجل لمراكز السلطة وبقاء النساء خارجها مثلما أثرت على مكانة الاثنين فالأدوار الهامشية والضعيفة وغير ذات الشأن التي انيطت بالنساء وضعت النساء في مكانة أدنى[9].

تعزز نفوذ العشيرة واعيد احيائها على حساب اشكال تنظيمات المجتمع الاخرى بعد تزايد اهتمام النظام السابق بالعشائر واعتماده على اقرباءه وأعضاء عشيرته في فرض سيطرته على المجتمع[10] خلال الحرب مع

---

[6] Gordon, Joy. 2012. *Invisible War. The United States and the Iraq Sanctions*. Harvard University Press.

[7] محمد المهاجر(2001)، دراسة الفقر في العراق قبل وبعد حرب الخليج اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا الاسكو.

[8] سهام عبد الحميد وامال شلاش، الفقر بين النساء . بحث غير منشور مقدم الى نوة النوع الاجتماعي والتنمية المستدامة التي اقامها الاتحاد العام لنساء العراق تموز 2001بغداد)ص5.

[9] بيار بورديو: الهيمنة الذكورية ، ترجمة سلمان قعفراني (بيروت المنظمة العربية للترجمة) 2009ص27

[10] http://www.aljazeera.net/home/print/ فالح عبد الجبار وهشام داود: شيوخ ومنظرون (تقريرالشرق الأوسط /العدد 215 /2000) نقلا عن

ايران. وتعاظم دور العشيرة خلال التسعينيات نتيجة لتراخي قبضة السلطة بفعل الحصار الاقتصادي ومحاولة الرئيس العراقي السابق مهادنة القيادات القبلية وضمان ولائهم لدعم نظامه المتهالك والحد من المعارضة المتزايدة[11].

وشهدت الفترة ذاتها تصعيداً في مظاهر التدين في اطار ما يعرف بالحملة الايمانية التي فرضت على المجتمع مجموعة من القرارات والسياسات الغاية منها اشغال المواطن بالقضايا الدينية و ضمان انصرافه عن الاحتجاج او تحدي نظام السلطة او التمرد عليه تحت وطأت الظروف الاقتصادية الصعبة. كما حاول من خلالها النظام ان يضفي الشرعية لسلطته تستند على مسائل فقهية تدعو الى طاعة الحاكم حتى لو كان جائرا، وتظهره بصورة المتدين التقي[12]. في ظل هذا السياق تحولت السياسات الجندرية لدى حزب البعث من قومية علمانية مجندرة في سياق دولة الاستبداد-الريعية القوية الى سياسة قبلية -اسلامية في سياق دولة ضعفت بسبب الحرب والعقوبات الاقتصادية. وكانت حقوق النساء وجسدهن وجنسانيتهن في صميم أيديولوجيات النظام وتعريفاته للأمة.

شهدت هذه المرحلة مجموعة من القوانين التي تعكس(توجها ذكوريا) في سياسة النظام الحاكم تجاه النساء ، من بينها منع النساء تحت سن الخامسة والاربعين من السفر خارج العراق دون محرم(اي رجل من اقارب الدرجة الاولى) وتشجيع ممارسة (جرائم الشرف) وهي واحدة من العادات العشائرية المعروفة من خلال تخفيف العقوبة على الجاني. واصدر النظام الحاكم قرارا يسمح للرجل فيه بالزواج من امرأة ثانية او ثالثة دون الرجوع الى موافقة الزوجة الاولى[13].وتأكيد الدولة على الدور الانجابي للنساء من خلال اللجنة التي تشكلت عام 1997لوضع إستراتيجية النهوض بواقع النساء التي جاء في أهدافها تحقيق المساواة في فرص التعليم والتدريب مع ملاحظة عدم تعارض الاستمرار بالتعلم مع الدور الانجابي للنساء[14]. وبشكل عام اثرت الحروب المتواصلة و العقوبات وما تبعها من أزمة انسانية والسياسة القبلية - الإسلامية للنظام عبر الحملة الايمانية ، على ظروف الحياة اليومية للنساء وحقوقهن والتمثلات الجندرية والممارسات الاجتماعية المعيارية المحافظة وأسست لانواع جديدة من الابوية. وفرضت المزيد من القيود على حركة النساء واستقلاليتهن بحيث أصبحت كل نزعة تفرد للنساء ينظر اليها على انها مرادفة للرذيلة.

وقد شكلت الحروب المتتالية والتحول القبلي- الإسلامي في سياق الإفقار والانهيار الاقتصادي ديناميات ما بعد عام 2003 . تميزت فترة ما بعد غزو العراق في العام 2003 بتفجر العنف الطائفي والفوضى السياسية وصعود القوى الإسلامية المحافظة. وقد أدت مأسسة سلطة الائتلاف المؤقتة لنظام سياسي طائفي، وتسلُّم النخبة السياسية المعارضة لحزب البعث الذي يهيمن عليه القوميون الكرد والإسلاميون الشيعة المحافظون بأيديولوجية المظلومية التي اتبعوها، والسياسات المختلفة التي تبنتها سلطة الائتلاف المؤقتة والنظام الجديد إلى تفاقم التوترات الاجتماعية والسياسية وإغراق العراق في عنف شامل. فرضت الدولة الجديدة أمة مجزأة ومنحت مستويات مختلفة من المواطَنة وفقاً لنسختها الطائفية. كان لتدمير الدولة ككيان موحد، ومزود اجتماعي واقتصادي، تأثير عميق على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للعراقيات

[11] ينظر عصام الخفاجي، العراق عقود من المعانتة،

[12] مقابلة مع الباحث سعد سلوم اجرتها الباحثة اسماء جميل في العام 2010

[13] في نهايات السبعينيات ادخلت اصلاحات مهمة على قانون الاحوال الشخصية رقم158 لسنة 1959 من هذهالاصلاحات عدم قانونية قدرة الزوج على تطليق زوجته شفاها ومنحت صلاحية الطلاق للمحاكم فقط وتضمنت الاصلاحات ايضامنع الزوجمن الزواجبامرأة ثانية دون موافقة الزوجة الاولى وبسرت للمرأةالحصول على حضانة الاطفال في حالات الانفصال والطلاق.ينظر الرسام امال. 2005: العراق.في كتاب حقوق النساء في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا المواطنة والعدالة.تحرير فريدم هاوس.مؤسسة فريدم هاوس الولايات المتحدة.ص

[14] كريم محمد حمزة: تقييم وضع المرأة العراقية في ضوء منهاج عمل بيجين، صندوق الامم المتحدة الانمائي للمرأة، اليونيفيم، 2004, ص 91 ..

،

والعراقيين. وفر الاسلام السياسي الذي هيمن على السلطة بعد العام 2003 الارضية المناسبة للكثير من الممارسات التي تهدف الى تقييد اكبر لحريات النساء. وقد لعب الاسلامويون كجماعة مهيمنة بعد عام 2003 دورا مهما في تكريس واعداد النساء للقبول الطوعي بالهيمنة فاكثر من 150 منظمة نسائية اسلامية تدعمها احزاب الاسلام السياسي تعمل في كافة انحاء العراق تسعى الى تغيير ثقافي يهيئ لنجاح مشروع الإسلام السياسي في البلد.

فاقم الفساد المستشري للنظام الجديد من العنف الطائفي والسياسي. ونتيجة لذلك، تعيش النساء في سياق تكون فيه الدولة ضعيفة وغير جديرة بالثقة: فهي غير قادرة على توفير الحقوق الأساسية لمواطنيها – مثل الأمن والحصول على الخدمات الأساسية (المياه والكهرباء والرعاية الصحية) – وانفاذ القانون. كان للمناخ العام من انعدام الأمن والأزمة السياسية، الى جانب القوى المتنافسة للميليشيات في الشوارع ووجود الأحزاب المحافظة في السلطة، تأثير كبير على الحياة اليومية للنساء وإمكانيات الدعوة لحقوقهن. فهدر المال العام والاختلاس أثرت في تراجع قدرة الدولة الهشة أصلاً على تخصيص موارد من الموازنة العامة لسد الفجوة مابين الجنسين في مجال التعليم والعمل والحد من العنف الواقع على النساء وخفض معدلات وفيات الامهات وكانت النساء الخاسر الاكبر من غياب البرامج وتعطيل الاستراتيجيات الخاصة بالنهوض بواقع النساء . وكان لتردي البنية التحتية وتدني الواقع الصحي والتعليمي وخدمات الحماية بسبب عدم وجود موارد اضافية تخصص لتحسين هذه الخدمات اثاراً مضاعفة على النساء نظراً لدورها الانجابي ومسؤولياتها في ادارة شؤون الاسرة ومتابعة الوضع الصحي والتعليمي لافراد العائلة. حمل المحتجون رجالا ونساء أفكارا مشتركة (اعتقادات معممة) تفسر حالة الفقر والبطالة التي يعيشونها عازين أسبابها الى تفشي الفساد واستئثار الطبقة السياسية بمقدرات العراق وكانت شعارات محاربة الفساد وازالة الطبقة السياسية الفاسدة من القضايا الرئيسة الجامعة التي تبنتها النساء .

عسكرة المجتمع والعنف القائم على الجندر

تفاقمت العسكرة كظاهرة اجتماعية وسياسية في العراق منذ ثمانينات القرن الماضي وخلال الحرب مع ايران التي استمرت زهاء الثمان سنوات، حيث اعيد ترتيب الاولويات وفقا لمنهج العنف والصراع، واعطت الدولة الاهمية للجانب العسكري عبر الزيادة في الانفاق على المؤسسة العسكرية لتصل الى اكثر من 120 مليار دولار خلال الفترة من 1980-1985[15]، يليها زيادة لعدد منتسبي الاجهزة الامنية وتعدد هذه الاجهزة على حساب المؤسسات المدنية الاخرى، وفرض الخدمة الالزامية التي امتدت الى 13 سنة، وانتشار الزي العسكري ومفردات الحرب في كل مفاصل الحياة.

كان للعسكرة أثر كبير في في تحديد الأعراف والعلاقات الجندرية[16] واعادت تشكيل تمثلات الأنوثة والذكورة في العراق اذ ارتبطت الذكورة في الحملة التي ترعاها الدولة، بشخصية الجندي الذكر المسؤول عن حماية الأمة التي عرفت على أنها أنثوية. وتم تصوير النساء على أنهن ضعيفات وسلبيات بينما تم ربط الذكورة

15 . سامر مؤيد عبد اللطيف وحسين كاظم الشمري :عسكرة المجتمع واثرها في البناء الديمقراطي المجلة السياسية والدولية
المجلة الدولية والسياسية ، 2016 ، المجلد ، العدد 33-34 ، ص 130

16 See Cockburn, Cynthia. 2010. Gender Relations as Causal in Militarization and War, International Feminist Journal of Politics (12:2) pp. 139-157; Cockburn, Cynthia & Enloe, Cynthia. 2012. Militarism, Patriarchy and Peace Movements, International Feminist Journal Of Politics (14 :4) pp.550-557 and Peterson, V. Spike . 2007. Thinking through intersectionality and War. Race, Gender & Class (14:3/4) pp. 10-27.

بالاستخدام الفعال للعنف[17]. كانت أحداث التسعينات بمثابة التطبيع التام للعنف العسكري والسياسي والقمع الاستبدادي المروع من قبل البعث اذ لجات السلطة الى تكريس العسكرة بوصفها وسيلة لاخضاع المجتمع وادامة بقائها، عبر تشكيلات مسلحة تحت مسميات(فدائيي صدام وجيش القدس)[18].

تصاعدت العسكرة بعد الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 ، بسبب النزاعات المسلحة وتوطيد الميليشيات المرتبطة بالجماعات السياسية المهيمنة التي وصلت إلى السلطة من خلال الاحتلال. وسرعان ما فرضت هذه الأحزاب سياساتها الجندرية في الشوارع من خلال جماعاتها المسلحة وميليشياتها المنتشرة عند نقاط التفتيش والسيطرة على أحياء مختلفة في المناطق الحضرية[19]. كان من ابرز مظاهرها انتشار السلاح غير المسيطر عليه بشكل واسع وحرب اهلية ونزاعات مسلحة مستمرة تركت الالاف من القتلى والمعاقيين وأرامل وثقافة عسكرية تضفي الشرعية على استباحة القيم والضوابط التي تحمي حياة الاخرين، اشاعت العسكرة مناخا عاما من انتهاكات حقوق الانسان في العراق، وتعرضت النساء الى تضييق قاسي على حرياتهن في الحركة واللباس، بعد ان اتجهت ممارسات الميليشيات الاسلامية المسلحة نحو العزل التام بين الذكور والاناث. واعتبرت الحجاب مطلبا اساسيا حاولت فرضه بالترهيب على جميع النساء بمن فيهن غير المسلمات(مسيحيات، صابئيات) كجزء من سياسات فرض الهوية. ووظفت هذه الجماعات مفهوم (النهي عن المنكر) للنيل من النساء، ومبررا لقتلهن ، وتعرضت النساء في مناطق هيمنة هذه الجماعات الى تصفيات جسدية بدوافع مختلفة منها(التبرج، عدم الالتزام بالحجاب او الزنا) وقد وصل عدد النساء اللواتي قتلن على ايدي هذه الجماعات في مدينة البصرة جنوب العراق من 2 الى 3 نساء يوميا في العام 2007.

كان للعسكرة انعكاسات كبيرة في ارتفاع منسوب العنف وسهولة انتقاله الى الاسرة على الرغم من ان العنف المبني على النوع الاجتماعي في العراق هو ظاهرة قديمة تؤسس لها ثقافة كره النساء وعدم الاعتراف بحقوقهن والقيم السائدة حولهن وطبيعة الادوار المناطة بهن والصور النمطية التي يتمثلها المجتمع عنهن . غير ان هذه الظروف ساهمت وبشكل كبير في تفاقمه وتحول انماطه لتتخذ أشكالا مريعة من القسوة. ودفعت بالعائلات الى تزويج بناتهن في سن مبكرة للتخلص من مسؤوليتهن عبر نقل هذه المسؤلية الى الزوج. تزايد العنف الاسري بوتيرة متصاعدة مع انتشار مظاهر العسكرة والنزاعات المسلحة، وانفلات السلاح وعودة الجنود، حيث بلغت نسبة النساء اللواتي تعاني من سيطرة الرجال وتسلطهم في ذروة العنف الاهلي عام 2006 أكثر من 82%[20].

وقد وصل العنف الى مستويات مرتفعة من القسوة , تزايدت حالات قتل النساء في العراق بشكل لافت خلال السنوات الاخيرة اذ تعرضت 168 امراة للقتل في العام 2016 وازدادت هذه الجرائم لتصل الى 212 جريمة قتل في العام 2017. في حين بلغت حوادث القتل التي طالت الفتيات الصغيرات دون سن الثامنة عشر في نفس العام 41 حالة و 3 حالات غسلا للعار .وبلغت عدد حالات الانتحار بين النساء حتى شهر ايلول من العام 2020 132 حالة ولم يعرف فيما اذا كانت العائلة تدعي انتحار النساء للتستر على المجرم، او ان النساء اقدمت على قتل نفسها بدفع من احد افراد الاسرة او انها اجبرت على الانتحار، ومن الصعب

17 See Rohde, Achim. 2010. Gender Policies in Ba'athist Iraq, in State-Society Relations in Ba'thist Iraq, Routledge Studies on the Middle East: 75-118; 2006; Opportunities for Masculinity and Love: cultural Production in Ba'thist Iraq during the 1980s, In Ouzgane Lahoucine eds. Islamic Masculinities, Zed Books.

18 سامر مؤيد عبد اللطيف وحسين كاظم الشمري :ص 122 الى ص130)

19 See Ali, Zahra. 2018. Women and Gender in Iraq: Between Nation-Building and Fragmentation. Cambridge University Press.

20. جميل رشيد، اسماء.2020: العنف الاسري في العراق في ظل تداعيات الازمة الوبائية. مركز البيان للدراسات بغداد

جدا تحديد الحجم الفعلي لجرائم قتل النساء في العراق وذلك بسبب عدم الابلاغ عن الكثير منها او اظهارها وتسجيلها على انها حوادث عارضة.

افضت العسكرة الى فرض المزيد من القيود على النساء وأضطرت العديد منهن الى الانسحاب واخلاء الفضاء العام ليكون ذكورياً بامتياز. ودفعت النساء ثمن العسكرة (نزوح، تهجير وفقدان الاحبة) واصبحت صاحبة المصلحة الاوى في انهاء مظاهرها. ترجمت المشاركة الواسعة للنساء تداعيات العسكرة واثرها على النساء وخاصة الامهات ومعظمهن خبرن موت الابناء اثناء الحروب الطائفية، او فقدوا اولادهم في في التفجيرات التي طالت اعداد كبيرة من العراقيين، وهؤلاء النسوة غير مستعدات لترك ابنائهم لوحدهم عرضة للقتل والاعتقال .

لقد كان الرصاص الذي طال المتظاهرين في الاحتجاجات التي انطلقت في 1 اكتوبر وسقوط اكثر من 151 قتيل على ايدي القوات الامنية والقناصين، هو الدافع الاساسي وراء قرار المشاركة لديهن. والرغبة في حماية المتظاهرين هو المحرك الاول لمشاركتهن. وقد سبق للنساء ان تصدرن مسؤولية حماية ذكور العائلة خلال العنف الطائفي في الاعوام 2005_ 2007 عندما تولت النساء جميع مهام التي تتطلب الخروج من المنزل نيابة عن الرجل لكي تجنبه القتل على اساس الهوية[21].

مظاهر التفاوتات الجندرية : التعليم والتوظيف والعمل

لعل من أخطر ما نتج عن العقوبات الاقتصادية هو ضعف المردودات المادية والاعتبارية للتعليم ما ادى الى تراجع واضح في نسبة تعليم الاناث. وقد شهدت الاعوام 1990-1998 انخفاضا كبيرا في معدل النمو السنوي للاناث الملتحقات بالتعليم 1% بعد ان كان 3.8% في الفترة ما بين 1987-1990، ومع ان العقوبات الاقتصادية كان لها اثرا سلبيا على مستوى التعليم في العراق بشكل عام، وادت الى الى انصراف الرجال والنساء على حد سواء عن التعليم بكافة مراحله، غير ان من المهم هنا تمييز قضية اساسية وهي ان الذكور انصرفوا عن التعليم، بعد انخفاض قيمة مردوداته ومخرجاته، متجهين الى سوق العمل في ظل الصعوبات الحياتية والتضخم الاقتصادي العائل حيث أصبح لكسب المال قيمة اعتبارية واجتماعية تفوق قيمة العلم والحصول على مؤهل تعليمي. أما الاناث فقد اجبرن على ترك التعليم والعودة الى العالم الخاص بفعل ثقافة تمييزية بدأت تنمو ابان هذه المرحلة؛ تنظر الى تعليم الاولاد على انه اكثر اهمية من تعليم البنات.

أزداد الانخفاض في مستويات تعليم الاناث بعد العام 2003 مع غياب الامن وهيمنة الايديولوجيات المحافظة والانخفاض المستمر بالانفاق على التعليم, وأكثر من ثلث النساء في العراق اليوم غير ملمات بالقراءة والكتابة وهي ضعف نسبة الذكور. وترتفع هذه النسبة في الارياف اذ بلغت نسبة النساء اللواتي لا يجدن القراءة والكتابة ا5%. ونصف الشابات الحاصلات على شهادة الابتدائية لا يجدن في الحقيقة القراءة والكتابة[22]. كان للامية وانخفاض المستوى التعليمي اثرا بالغا على النساء انعكس على جميع جوانب حياتها

21 جميل رشيد، اسماء.2020.الاحتجات التشرينية من منظور النساء .في كتاب الاحتجاجات التشرينية في العراق /أحتضار القديم واستعصاء الجديد.تحرير فارس كمال نظمي وحارث حسن.. بغداد: دار سطور.

22 لسنة 2011,التقرير التفصيلي 2011,ص4136MICS الجهاز المركزي للاحصاء ومنظمة الامم المتحدة للطفولة :متابعة أوضاع النساء والاطفال المسح العنقودي متعدد المؤشرات

بما فيها الصحية والصحة الانجابية , وانخفاض مشاركتها الاقتصادية وانخفاض الاجور وزيادة حالات الزواج المبكر نظرا لوجود علاقة عكسية بين التعليم وسن الزواج.

وعلى الرغم من ان معدلات التحاق الاناث بالمدارس في كافة المراحل التعليمية ينمو وبمعدلات اسرع من التحاق الذكور, اذ ازدادت بنسبة 8,7% في المرحلة الابتدائية[23] في العام 2016 . الا انه مايزال هناك تفاوت في نسبة عدد الاناث الى الذكور الملتحقين بالتعليم والتي بلغت بحسب مسؤولين في وزارة التربية 46% وهي أقل من مؤشر تعادل الجنسين والبالغ 50%[24]. في المقابل ترتفع نسبة تسرب الاناث اي تركهن للدراسة قبل انهاء مرحلة دراسية معينة الى2.3% مقارنة ب 1.8% بالنسبة للذكور للعام الدراسي 2011-2012. اما اهم الاسباب والمعوقات التي تؤدي الى تسرب الفتيات وعدم اكمالهن تعليمهن فقد اشارت المصادر الى ان الفقر وعدم توفر التسهيلات الضرورية مثل الابنية المدرسية المناسبة وتوفر دورات المياه وبعد المساكن عن المدارس وعدم توفر وسائل نقل في مقدمة الاسباب التي تمنع البنات من مواصلة تعليمهن. وعدم رغبة العائلة بتعليم بناتها ويعد العامل الاخير السبب الاساسي لعدم التحاق الاناث بالمدارس[25].

وفي اطار التفاوتات الجندرية في العملية التربوية تعكس المناهج الدراسية لوزارة التربية واقعا تمييزيا يعمل على تكريس الادوار والعلاقات التقليدية بين النساء والرجال ويؤدي الى اعادة انتاج هذه التفاوتات اذ تظهر المرأة داخل هذه المناهج مرتبطة بمكان مركزي وهو البيت وتقدم النساء بأدوارهن التقليدية كأم تطبخ وفلاحة تحلب البقر وفتاة تساعد امها في أعمال البيت ولا يوجد اشارات واضحة لادوار النساء خارج الادوار التقليدية. ولم تول المناهج قضايا النساء اي اهتمام اذ لا يوجد عنوان واحد في مواضيع الكتب المدرسية يعالج قضية من قضايا النساء [26].

مثلت النساء قوة عمل احتياطية والدولة هي التي تحدد متى يكون بامكان النساء الانضمام الى سوق العمل ومتى يبعدن عنه في ضوء مصالح النظام السياسي. في ظل الدولة الريعية كانت مشاركة النساء في سوق العمل منخفضة لانتفاء الحاجة لعمل النساء بسبب ارتفاع المداخيل الناتجة عن الثروة النفطية والتي تسمح لعدد قليل من العاملين باعالة مجموعة من الافراد خاصة في اطار قيم ثقافية لا تشجع عمل النساء[27].ارتبط دخول النساء الى سوق العمل مقابل أجر خاصة في الدوائر والمؤسسات الحكومية بالتنمية التي تزامنت مع الحرب اذ فتحت الدولة المجال امام النساء للانخراط في سوق العمل لسد الفراغ الذي تركه الرجال المتوجهين للحرب مع ايران و بلغت تسبتهن حوالي 34.8% من الحاصلين على دخل. وبعد انتهاء الحرب وعودة الرجال اتخذت الدولة سياسة مغايرة تم خلالها اقصاء النساء وتشجيعهن على العودة الى المنزل وتعزيز دورهن الانجابي. وكان هناك توجها واضحا نحو تقييد منافسة النساء للرجال في الحصول على

23 منظمة الأمم المتحدة للطفولة ,اليونيسيف, : تكلفة ومنافع التعليم في العراق,دراسة تحليلية حول قطاع التعليم واستراتيجيات زيادة المنافع من التعليم: 2017 .

24 صندوق الامم المتحدة للسكان : خطة العمل القطاعية لتفعيل أستراتيجية مناهضة العنف القائم على النوع الاجتماعي وزارة التربية 2012. مسودة ساهمت الباحثة في اعدادها.غير منشورة.

25 نقلا عن : وزارة التخطيط والبرنامج الانمائي للامم المتحدة في العراق: مسح الاحوال المعيشية 2004, ص 107ص110.

26 عبد العظيم رهيف السلطاني : التمييز الجنسوي ضد المرأة في الخطاب التربوي العراقي المعاصر مجلة الاقلام الفصلية التي تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد 61الثالث . السنة السابعة والأربعون أيلول .كانون الثاني 2012 ، من ص36 .

القوانين العراقية التي تعرقل مشاركة المرأة الاقتصادية، من خلال عدها معالة اقتصاديا وتشجيعها على اتخاذ هذا الدور وعدم التقدم في العمل. إذ تضمن قانون التقاعد الموحد رقم (9) لسنة 2014 في المادة 12 السماح للأم لثلاث أطفال بالتقاعد ينظر: نبيل جعفر عبد الرضا ومروة عبد الرحيم : مشاركة المرأة العراقية في سوق العمل: موقع الحوار المتمدن اذار 2015. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=461161

27

وظائف انعكست في الخطب التي كان يلقيها الرئيس والتي كانت تؤكد على ان المهمة الوطنية للمرأة هي ان تفسح المجال للرجل في العمل وان تعود الى واجبها المقدس كام[28].

ساهمت العقوبات الاقتصادية في عودة العديد من النساء العاملات او دفعن مجدداً للعودة الى منازلهن لاداء ادوارهن التقليدية بسبب أنخفاض المردود المادي للعمل وقيمة الاجور وغياب انظمة الدعم التي تمولها الدولة بما فيها رياض الاطفال ودور الحضانة بعد خفض الانفاق العام من جهة وتقلص فرص الاستخدام لدى النساء بسبب توقف جميع الصناعات في القطاعيين العام والخاص بما في ذلك الصناعات البسيطة مثل الخياطة والاغذية التي كانت تستوعب اعداد كبيرة من النساء العاملات من ذات المستوى التعليمي المنخفض من جهة أخرى. وقد انخفض عدد طالبات العمل المسجلات في مكاتب التشغيل منذ عام 1990 ولم تزيد نسبتهن عن 3.5 عام 1998 كما انخفضت نسبة اللواتي يملكن مشاريع صناعية من 6% عام 1992 الى حوالي 3% بعد عام 1995[29].

تعكس المشاركة في سوق العمل في المرحلة الراهنة تفاوتاً واضحاً بين النساء والرجال, اذ لم تتجاوز نسبة العاملات مقابل اجر 11.6%.[30] وهي الاضعف بالعالم. ارتبط انخفاض نسبة النساء العاملات بعدم توفر فرص حقيقية للنساء وحرمانها من اكتساب الاجور الممنوحة من عملها في القطاع الزراعي وقطاع العمل غير المنظم[31] .ولهذا التفاوت علاقة مباشرة ايضاً بسياسات التوظيف والتعيين في القطاع العام اذ تفوق معدلات توظيف الذكور في سن العمل معدلات توظيف النساء بما مقداره 48 مرة بحسب تقرير اليونيسيف[32]. مما يعني ان سياسات التوظيف منحازة الى الذكور وتعيد انتاج التفاوتات الجندرية. وهناك فجوة جندرية كبيرة بين عدد النساء والرجال في التوظيف حيث بلغ عدد الموظفين الذكور في وزارات الدولة والجهات غير المرتبطة بوزارة في العام 2014 ما يوازي ضعف عدد النساء تقريبا (950932) مقابل (569522) .[33] البطالة بين النساء تبلغ مستويات أعلى من الذكور وبلغ معدل البطالة للاناث 22.2%مقابل 8.05 للذكور[34] وتتسع الفجوة في فئة الشباب حيث بلغت نسبة البطالة للشباب 19.2% للذكور و43.8% للاناث[35]. بسبب توقف القطاع العام عن التوظيف من جهة وبسبب تسييس القطاع العام وتأثير الانتماءات الحزبية في ظل تقسيم الوزارات وفقا لنظام المحاصصة اذ اصبح من الصعوبة على الفتيات الحصول على فرص العمل مالم يكن قريبات من الجهة السياسية التي تدير هذه الوزارة أو تلك المؤسسة. في المقابل أدت الاوضاع الاقتصادية التي يمر بها العراق والشرذمة وعدم الاستقرار السياسي الى ضعف كبير في القطاع الخاص وعدم قدرته على استيعاب النساء وقد انخفضت نسبة العاملات في القطاع الخاص من 32% في العام 2012 الى 29%في العام2014 [36].

28 الرسام امال. 2005: العراق.في كتاب حقوق النساء في الشرق الاوسط وشمال أفريقيا المواطنة والعدالة.تحرير فريدم هاوس.مؤسسة فريدم هاوس الولايات المتحدة.ص97
كريم محمد حمزة، مصدر سابق ص26.29
وزارة التخطيط .الجهاز المركزي للاحصاء: احصاءات المرأة والرجل .العراق. .مطبعة الجهاز المركزي للاحصاء .بغداد 2013 .ص34 30
وزارة التخطيط .الجهاز المركزي للاحصاء: احصاءات المرأة والرجل .العراق. .مطبعة الجهاز المركزي للاحصاء .بغداد 2013 .ص 3431
منظمة الأمم المتحدة للطفولة ,اليونيسيف, : تكلفة ومنافع التعليم في العراق,دراسة تحليلية حول قطاع التعليم واستراتيجيات زيادة المنافع من التعليم: 2017 . ص47[32]

ضياء كاظم سالم :فجوة النوع الاجتماعي دلائل رقمية33
ابتسام عزيز وسلام جبار شهاب: التمكين الاقتصادي للمراة العراقية التحديات والتوجهات الاستراتيجية والمبادرات.مركز البيان 342020
على اعتاب الالفية ص3511
خطة التنمية 2018 ص36234

غير ان هذه الاوضاع سمحت بزيادة تقبل عمل النساء في مجالات ومهن لم يكن مسموح للنساء العمل بها من قبل وسمح للشابات على وجه الخصوص بولوج مهن جديدة مثل بائعات في مولات ومندوبات للترويج عن منتجات الشركات, أعطت مثل هذه الاعمال شكلاً من الاستقلالية الاقتصادية للنساء وكان ذلك عاملا مهما في زعزعة سلطة الاباء والاخوة الذكور على الشابات, وقد كشفت المقابلات مع المحتجات ان عمل الفتيات بما فيهن طالبات الجامعة في مهن جديدة مثل بائعات في مولات تحت ضغط الظروف المعيشية والاقتصادية، او مروجات بضاعة عبر الانترنيت, كان مؤشر على الاعتمادية على الذات وبداية الاستقلالية عن العائلة ، ودالة أخرى على نمو الفردانية خاصة في المدن الكبيرة في العراق ومنها العاصمة بغداد. تعتقد سناريا احدى الطالبات الجامعيات المشاركات في الاحتجاجات بان عملها هو الذي مكنها من اتخاذ قرار المشاركة في الاحتجاجات و كسر حاجز الخوف عندها، وخفف من حجم الوصاية المفروضة عليها :

" وفر لي العمل رغم انني مازلت طالبة حالة من الاعتماد على الذات والاستقلالية، ومكنني من الخروج لوحدي دون رفقة او وصي او محرم او حارس من الاهل كما جعلني قادرة على ان استقل سيارة اجرة واذهب الى اي مكان اريد، وهذا لم يكن متاح في السابق قبل ان اعمل"

عمل النساء في العراق يرافقه ظاهرة تنميط جنسي للمهن اذ يتركز عمل النساء الناشطات اقتصاديا في الزراعة والمهن الخدمية. مما يشير الى استبعاد النساء من أنشطة معينة وربط عملهن بانشطة أخرى غالبا ما تصنف على انها أعمال خاصة بالنساء وتتناسب مع المفاهيم التقليدية السائدة حول النساء .مثل المهن الكتابية وأقسام (ادارة شؤون الافراد) والسكرتارية والتعليم. اتضحت معالم هذه الظاهرة في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي وخلال الحرب مع ايران كما تشير الدكتورة لاهاي عبد الحسين في كتابها عن التنمية والحرب وكانت أكثر وضوحا في مهنة التعليم. كان هناك ميل لدى السلطة الحاكمة في الثمانينيات لتأنيث التعليم واحلال النساء محل الرجال للعمل في هذا المجال، من خلال زيادة وارتفاع عدد الطالبات من الاناث على اعداد الذكور في معاهد المعلمين وكليات التربية للفترة 1988-1989 ومع نهاية 1988بلغت نسبة العزل الجنسي في دوائر الدولة 40% اي ان اكثر من ثلث القوى العاملة النسائية تتركز في دوائر معينة هي التربية والصحة والاعلام[37]، أشر تكديس النساء في هذه القطاعات بداية التمييز الجنسي، ومن ابعاد هذه الظاهرة هو تكريس الادوار التقليدية للنساء اي انه أعاد عملية توزيع الادوار خارج المنزل بصورة منمطة جنسيا وتكرس الصور النمطية السائدة للذكورة والانوثة , وعملية التنميط لم تحدث بالمصادفة وانما هي جزء من ايديولوجيا تفضي الى تدني منزلة النساء فهي ليست مجرد عملية تمايز واختلاف في ادوار منفصلة لكنها متساوية من ناحية القيمة بين النساء والرجال وانما هي عملية وضع النساء كنوع في منزلة ادنى وهذه العملية تأخذ مجراها في عالم الاتجاهات والقيم فالادوار التي ترتبط بالنساء تصنف على انها أقل قيمة من اعمال الرجال [38].ترسخت هذه الظاهرة وبشكل متزايد بعد العام 2003 اذ تتجه سياسات التوظيف والتعيين الى استبعاد النساء من مجالات معينة مثل وزارة النفط والمالية والاعمار والاسكان والاتصالات وتكديسهن في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية والتعليم وقد بلغت نسبة الذكور الذين تم تعيينهم في وزارة النفط في العام 2014 على سبيل المثال 90.6% مقابل 9.4 نسبة المتعينات في هذه الوزارة من الاناث[39]

عبدالحسين، لاهاي. 2006. اثر التنمية والحرب على النساء في العراق : 1968-1988. بغداد:دار الشؤون الثقافية العامة.ص37145

38 ديان اليسون وروث بيرسون: ذوات الاصابع الماهرة عمالة رخيصة تحليل لعمل النساء في العالم الثالث في الصناعات التصديرية .في كتاب دراسة النوع (من رجل وأمرأة) والعلوم الاجتماعية.تحرير هانية شلقامي .ترجمة سهام سنية عبد السلام.مؤسسة المرأة والذاكرة.القاهرة .2015 ص 203

39

انعكست ظاهرة التنميط الجنسي في العمل على التفاوت في الاجور فعلى الرغم من ان القانون العراقي لايميز في الاجر بالنسبة للعمل المتساوي في النوع والكم والذي يؤدى في ظروف متماثلة , الا ان الواقع يكشف عن وجود تحيزات كبيرة لصالح الذكور في مجال الاجور. وهذا التباين في قيمة الاجور بين الجنسين ناتج عن تركز الاناث في الوظائف ذات الاجور الاقل مثل الاعمال المكتبية والادارية بينما تزداد اعداد الذكور في الاعمال الميدانية والانتاجية والمناصب القيادية التي تمتاز باجورها الاعلى نسبيا, ولما كان قانون العمل ينص على تساوي الاجور عندما تكون ظروف العمل متماثلة فمن الطبيعي ان لا تتساوى اجور النساء والرجال بسبب اختلاف طبيعة المهن التي يمارسانها[40]. في المقابل فأن هناك تفاوت واضح في الاجور لصالح الذكور في القطاع الخاص اذ يتقاضى الذكور أجور أعلى من الاناث بفجوة تصل الى 3.5%من معدل الاجور العام في البلدان لاخرى[41] وذلك بسبب تنميط عمل النساء داخل القطاع الخاص واقتصار الوظائف على الاعمال الشاقة ذات الاجور القليلة التي لا تحتاج الى مهارة وتدريب عالي مثل الزراعة والصحة والمؤسسات المالية والانشطة الاجتماعية[42]. وعلى الرغم من التحسن الذي طرأ على نسبة مشاركة النساء في مراكز صنع القرار والمواقع القيادية لكن الرجال يتصدرون المواقع والمناصب العليا في العراق وبفارق كبير وقد بلغ عدد الرجال بمنصب مدير عام على سبيل المثال 446 في العام 2014 مقابل 42 امرأة تشغل هذا المنصب في نفس العام.

وهناك تفاوت في الوصول الى الموارد والتمويل اذ تمتلك النساء أصولا اقل مقارنة بتلك التي يمتلكها الرجال وغالبية مالكي الاراضي هم من الرجال في حين لا تشكل النساء سوى 17%من مجموع المالكين[43] بسبب التفاوت في العمل وحرمان النساء من الارث. ولم تتجاوز نسبة الشركات التي تشارك في ملكيتها النساء 6.8 ادى ذلك الى ارتباط ظاهرة الفقر بالنساء أو ما يسمى تأنيث الفقر وفيما يتعلق بالفقر وفجوة الفقر فقد أظهرت المؤشرات ان دخل الاسرة يتجه الى الانخفاض عندما يكون رب الاسرة أمرأة وهناك تفاوت واضح في فجوة الفقر بين الرجال والنساء حيث بلغت فجوة الفقر في الاسر التي ترأسها النساء 1.9 و 3.01 لدى الرجال بحسب المسح الاجتماعي والاقتصادي للاسرة [44]

ولا تتمتع النساء بفرص متكافئة من حيث الحصول على التمويل والخدمات المصرفية على الرغم من عدم وجود موانع قانونية غير ان من الواضح ان ثمة عوامل سائدة تحد من قدرة النساء في الوصول للفرص فضلا عن النظام المصرفي التقليدي الذي لا يؤمن مساحة صديقة للنساء ويعطي الافضلية للرجل في طلبات القروض.[45].

تحدي الطائفية المجندرة: الشخصي هو سياسي

في حين أن حجم مشاركة النساء في الاحتجاجات ملحوظ، فإن مشاركتهن داخل الحركة الاحتجاجية ليست جديدة. كانت إحدى التظاهرات الأولى التي نُظمت في عراق ما بعد عام 2003 هي تظاهرة من أجل حقوق النساء تندد بالتشكيك في قانون الأحوال الشخصية، وهو إطار قانوني يجمع حق النساء في الطلاق والزواج

نبيل جعفر عبد الرضا ومروة عبد الرحيم : مشاركة المرأة العراقية في سوق العمل مصدر سابق40

ابتسام عزيز وسلام جبار شهاب: التمكين الاقتصادي للمراة العراقية التحديات والتوجهات الاستراتيجية والمبادرات.مركز البيان 412020

بحسب تقرير التنمية البشرية في العراق فان نسبة النساء من العاملين بالزراعة والصحة 32-38% ينظر:العراق 700سنة من الحضارة ص42163

ابتسام عزيز وسلام جبار شهاب: التمكين الاقتصادي للمراة العراقية التحديات والتوجهات الاستراتيجية والمبادرات.مركز البيان 432020

وزارة التخطيط قسم أحصاءات التنمية:على اعتاب الالفية . بغداد 2014 ص4411

نقلا عن هيئة الامم المتحدة للمرأة : مسودة تقرير المساواة بين الجنسين في العراق.452018

وحضانة الأطفال والميراث وما إلى ذلك. نظمت النسويات احتجاجات ضد محاولة عدد من الأحزاب الإسلاموية الشيعية -المجلس الأعلى والفضيلة تحديدا- لإحلال قانون طائفي محل القانون – الذي يشمل حالياً الفقه الديني السني والشيعي –. وبينما لم تنجح هذه المحاولة، فإن هذه الأحزاب الإسلاموية الشيعية التي وصلت إلى السلطة مع الإدارة الأمريكية تجدد باستمرار محاولتها لفرض قانون طائفي ومحافظ، وكان اخرها اقتراح القانون الجعفري[46]. هذه المحاولة "لطوئفة" مجال الحقوق القانونية للنساء يتم نشرها في إطار النظام السياسي الجديد الذي تم وضعه في العراق من قبل الغزو والاحتلال بقيادة الولايات المتحدة. منذ عام 2003، يقوم النظام السياسي العراقي على الحصص القائمة على الجماعة – الطائفية والاثنية والدينية – المعروفة باسم نظام المحاصصة.

إن فرض الانقسام الطائفي والجنسي هو طريقة تؤكد بها بعض الأحزاب السياسية هيمنتها على المجال الاجتماعي والسياسي. وبالتالي، فإن النظام السياسي الجديد لا يقوم على الاختلاف الطائفي فحسب، بل على الاختلاف الجنسي أيضاً. بعبارة أخرى، يمكن تعريف النظام السياسي العراقي بأنه طائفية مجندرة (sextarian)، وهو مصطلح صاغته مايا مكداشي في سياق لبنان[47]. اذ يتم اللعب بسياسات الهوية على الأعراف والعلاقات الجندرية، وخاصة على أجساد النساء. وإذا كانت السياسات الجندرية المحافظة قد بدأت بالفعل أثناء العقوبات مع "الحملة الإيمانية" لنظام البعث، فإن تفاقم الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية منذ عام 2003 والسياسات الطائفية المجندرة للنخبة السياسية التي وصلت إلى السلطة قد خلقت أشكالاً متطرفة من السيطرة الاجتماعية والمحافظة.

إن التداخل بين العنف السياسي وفرض النزعة الطائفية المجندرة هو مكون للجهاز الأمني للنظام من السياسيين المنتخبين في البرلمان إلى الميليشيات. كما أنه واضح جداً في قمع الاحتجاجات السلمية، حيث إنه مجندر: أي تحدٍ للمعايير الأبوية الجندرية يُنظر إليه على أنه تهديد للنظام ككل. غالباً ما تصور المؤسسة السياسية العراقية الانتفاضة على أنها "غير أخلاقية" من خلال قنواتها الإعلامية ومنصات التواصل الاجتماعي. وغالباً ما يُتهم المتظاهرون بالفساد الجنسي، والانحراف، وتنتشر جميع أنواع الشائعات حول "السلوك غير المشروع" المزعوم حدوثه بين الشباب تحت الخيام الموجودة في ساحات الاحتجاجات.

الانتفاضة:استعادة الفضاء العام ضد ما هو معسكر وذكوري ومخصخص

استعادة الفضاء العام الافتراضي والاحتجاجي

كثيراً ما يوصف العراق بأنه مجزأ على أسس أثنية وطائفية. حيث تركز مجموعة واسعة من الأدبيات على الطرق التي أدت بها النزاعات الطائفية إلى تجزئة البلاد بين الشمال الكردي والوسط الشيعي والجنوب والغرب السني. في حين قسمت القواطع الكونكريتية ونقاط التفتيش العاصمة بغداد على أسس طائفية . ولم تعطى التجزئة الطبقية وللطرق التي ترتبط بها الطبقة بالسلطة السياسية الاهتمام الكافي فالتقسيم الرئيسي في العاصمة هو الفضاء الجغرافي الذي يقسم بغداد الى المنطقة الخضراء التي تحتلها النخبة السياسية والمنطقة

46 See Ali, Zahra.2018. Women and Gender in Iraq: Between Nation-Building and Fragmentation. Cambridge University Press.
47 See Mikdashi, Maya. 2018. Sextarianism: Notes on studying the Lebanese state. *The Oxford Handbook of Contemporary Middle-Eastern and North African History*, (eds.) Amal Ghazal and Jens Hanssen, Oxford University Press.

غير الخضراء، حيث تعيش الأغلبية. وتم إيلاء اهتمام أقل للتجزئة على أساس الجندر والطرق التي يتم بها الفصل بين الفضاء على أساس الاختلاف الجندري. يمكن وصف الفضاء الاجتماعي الحضري في العراق بعد عام 2003، والذي يعني الفضاء الذي يمارس فيه سكان مدنه التفاعل الاجتماعي اليومي على أنه معسكر ويهيمن عليه الذكور ومخصخص.

النساء في العراق مبعدات ومقصيات عن المجال العام . اذ لم تلق النساء تشجيعا للمشاركة في الحياة العامة والتفاعل مع قضايا الشأن العام في الحيز المفتوح , وكانت مبعدة عن الحياة السياسية على الرغم من انخراط اعداد منهن داخل الاحزاب . وحتى نهاية الخمسينيات من القرن الماضي كان حق الانتخاب مقتصر على الذكور ممن اتموا العشرين من العمر, شهدت الجمهورية الاولى بعد انقلاب 1958تعيين أول وزيرة في المنطقة غير ان هذا لا يتنافى مع حقيقة ان النساء كن مقصيات عن مراكز القيادة حتى داخل أكثر الاحزاب التي تصف نفسها تقدمية كالحزب الشيوعي العراقي الذي لم يشرك في تشكيلة لجنته المركزية اية امرأة حتى العام 1965. ولم يختلف الامر كثيراً ابان السبعينيات والثمانينات فعلى الرغم من التحسن الواضح في وضع النساء على مستوى التعليم والعمل الا ان الفضاءات العامة والشأن السياسي بشكل خاص بقيت مجالات غير مسموح للنساء اختراقها اذا ما استثنينا دخول النساء الى المجلس الوطني في العام 1980 وشغلت عن طريق الانتخابات المسيطر عليها 16 مقعد ,لم تظهر اية امرأة في تشكيلة القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم انذاك حتى العام 1999.

انحسرت مشاركة النساء في الفضاء العام بشكل واضح خلال العقوبات الاقتصادية حيث بدأت النساء تغيب عن الشارع بسبب حالة الافقار التي ادت الى تكريسها للعمل المنزلي واجبارالعاملات على العودة الى المجال الخاص بعد انخفاض قيمة اجورهن وغياب انظمة الدعم التي كانت توفرها الدولة من دور حضانة ورياض اطفال. واتجه خطاب الجماعات الاسلامية التي هيمنت بعد العام 2003 نحو الابقاء على النساء في فضاء مغلق لا يسمح باختراقه وأصبح حضور النساء في الفضاء العام مشروط بزي معين ومحدود. وأفضت العسكرة والعنف المتصاعد الى انسحاب النساء من الفضاء العام الذي تحول الى امكنة غير امنة تبتعد عنها النساء ولا ترتادها الا للضرورة القصوى .

ومازال الفضاء العام بأمكنته التصورية -مقهى ,اماكن الاجتماعات والتجمعات ,مسرح- , حيث يمكن للافراد ان يتبادلوا النقاشات ويتفاعلوا مع القضايا التي تخص الصالح العام وتعد مساحات رئيسية لتشكيل الرأي العام هي حيز مقتصر على الرجال وتغيب عنه النساء, اما الامكنة المسموح للنساء قضاء أوقاتهن والتجول فيها فتقتصر على أماكن الاستهلاك مثل الأسواق والمطاعم ومراكز التسوق الجديدة و حتى في أماكن الاستهلاك هذه، غالباً ما يتم فصل النساء في أقسام خاصة ب"العوائل". ويهيمن الرجال على معظم الشوارع، حيث يمكنهم المشي والتسكع، بينما تمر النساء مروراً مالم تكن برفقة رجل من محارمها أو زوجها.

من نواح عديدة، تشكل مشاركة الشباب والنساء رد فعل على الفضاء المعسكر والمخصخص الذي يسيطر عليه الذّكور. وعبرت هذه المشاركة عن تحرر النساء من سلطة المنع وهيمنة القيم التي فرضت عليها ملازمة المجال الخاص, وفي الوقت نفسه عززت هذه المشاركة من ثقافة الاختلاط والعمل المشترك وقضت على فكرة العزل الجنسي التي حرصت خلالها الثقافة السائدة على وضع الحدود ما بين الجنسين وقسمت الفضاءات الى عالمين عالم خاص بالرجال واخر خاص بالنساء .

وقد ساهم الفضاء الافتراضي بشكل فاعل في اختراق النساء للفضاء العام الذي منعن منه وحرمن من الوصول اليه وجهزهن للمشاركة الفعلية في في الفضاء الاحتجاجي بعد ان اتاح لهن فرص متساوية في التعبير عن آرائهن بحرية بالاستناد إلى تجاربهن الحياتية بعيدا عن حجج المنطق والعقلانية ودون الحاجة الى قدرات نقدية ومهارات خطابية. اتاحت وسائل الاتصال فرصة للنساء للتعرف على ما يحدث في الفضاء العام ، دون الحاجة للخروج من المنزل، وأصبحن مشاركات فيه من داخل منازلهن. وصرن يعبرن عن آرائهن من خلال انشاء صفحات خاصة ومدونات او من خلال التفاعل مع الصفحات المختلفة. واعطت الاسماء والهويات المستعارة فرصة اكبر للتأثير والتفاعل بلا قيود او رقابة. نشطت العراقيات على مواقع التواصل الاجتماعي ووصلت نسبة اللواتي يستعملن هذه الوسائل وبشكل يومي 67% و 45% منهن يقضين ما بين 3 الى اكثر من 5 ساعات يومياً.[48] استعانت العديد منهن بهذه المواقع لتجاوز عزلتهن عن الفضاء العام وأصبحت بالنسبة لهن مجالاً مفتوحا للتعبير عن ارائهن ومواقفهن ولممارسة السياسة والتعاطي مع الشأن العام وتقديم أنفسهن وإسماع أصواتهن بشكل مبسط وطرق سهلة. مثال على ذلك الناشطة (رنا الصميدعي) التي ابتكرت طرقاً للتعبير خاصة بها، من خلالها ظهورها في فيديوهات تنتقد فيها احد زعماء الدينيين. وبلغة بسيطة ولاذعة بعيدة عن التحليلات السياسية، تحاول ان تحاكم الطبقة السياسية مستندة إلى تجربتها الشخصية بدون قيود وهو ما يتيحه لها الفضاء الافتراضي ويسمح به .

اثر انخراط النساء في الفضاء الافتراضي في زيادة وتعزيز ادراكهن للقضايا السياسية التي يشهدها العراق وفتح المجال امامهن لتشكيل حكم ذاتي جديد, وهذا الوعي السياسي الذي تشكل نتيجة تفاعلهن مع القضايا المختلفة لابد ان ينعكس على مشاركتهن السياسية، لما يحدثه هذا التفاعل من تأثير عاطفي ومعرفي سرعان ما يتحول الى سلوك[49]. من ناحية أخرى اكسبتهن وسائل التواصل الاجتماعي بدائل وأدوات جديدة للمشاركة في الشأن السياسي والتعاطي مع الاحتجاجات باتخاذها كمنصات للحوار ولتشكيل الرأي العام السياسي عبر مدونات وصفحات ومواقع منها صفحة (بنات التحرير) و (لبوات العراق) و صفحة الناشطة الحقوقية والإعلامية (شذى الدليمي) .نجحت المدونات والاعلاميات والناشطات على مواقع التواصل الاجتماعي في اثارة الكثير من القضايا التي كان تناولها والتعاطي معها محصورا وحكرا للرجل، وأكسب تناول هذه القضايا النساء ثقة بالنفس وشهرة. توسعت علاقاتهن الاجتماعية وأصبحن يشعرن بالمسؤولية تجاه قضايا الشأن العام في مجتمعاتهن وهو ما هيأهن وبسهولة للانتقال من الفضاء الافتراضي إلى ميدان الاحتجاجات.
وفي السياق ذاته عملت مشاركة النساء الواسعة في مواقع التواصل الاجتماعي على التحشيد، وفي نقل معاناة المحتجين والانتهاكات التي تعرضوا لها. وكان لمساهمتهن دور مهم في التعبئة الجماعية وبشكل خاص تعبئة النساء وحثهم وتحفيزهن على المشاركة.
تشير سناريا وهي تصف من شجعها على المشاركة في الاحتجاجات:

" هناك نساء نشطن على الانستغرام وينشرن بشكل واسع ومكثف ويحفزن النساء على المشاركة بعضهن طبيبات شابات وبعضهن مديرات مدارس وقدشجعت طريقة وسرعة نشرهن بعض النساء على المشاركة".

جهاد كاظم العكيلي (2018): استعمال المراة لوسائل التواصل الاجتماعي دراسة مسحية لعينة من النساء العراقيات في بغداد.مجلة الجامعة العراقية .العدد 40.ص ص 387-411 48
سمرمحمد الدريملي(2013:أثر مواقع التواصل الاجتماعي على المشاركة السياسية للمرأة في فلسطين.رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة الازهر –غزة ص 119 49

وتجدر الاشارة هنا الى الدور الذي لعبته مقاطع الفيديو التي تعكس مشاهد القتل والقمع التي تعرض لها المتظاهرين في الهبة الاولى التي انطلقت في الأول من تشرين الاول في اثارة التعاطف والغضب الكبير لدى النساء والذي مثل الدافع الاول لانخراط وتوجه القسم الاكبر منهن الى ساحات التظاهر في الهبة الثانية التي انطلقت في 25/تشرين فلولا التداول الواسع لهذه المقاطع عبر مواقع التواصل لم يكن لمشاركة النساء ان تحقق هذا الزخم العالي. كانت النساء الاكثر استعمالاً لمواقع التواصل الاجتماعي والاكثر تأثرا بقتل المتظاهرين في مقدمة المروجين والناشرين لهذه الاحداث .كما نشطت النساء في الترويج للإعلان عن التظاهرات ومواعيد انطلاقها وهو ما سهل على الكثيرات المشاركة الفعلية وأكسبهن القدرة على التنسيق للخروج إلى الساحات.

انتاج فضاء اجتماعي بديل

تميزت انتفاضة أكتوبر بوصفها ظاهرة حضرية بأنها اعادت امتلاك الفضاءات العامة من خلال سيطرة المحتجين على الساحات والشوارع والجسور والطرق والمباني المهجورة مثل المطعم التركي. وجميع هذه الاماكن هي فضاءات اجتماعية بالمعنى الذي اشار اليه هنري لفيفير عندما وصفها بانها المكان الذي يوجد فيه الجسد وحيث توجد التجربة الاجتماعية وحيث يتم العيش ضمن النسيج الاجتماعي للمجتمع والتفاوض بشأنه والتنازع عليه. وهو ما ساعد على انتاج فضاء اجتماعي بديل وهذا الفضاء البديل تم انتاجه من أفعال الناس العفوية وليس من خلال خطة واعية كما اشار لفيفر في وصفه للحركات الجماهيرية في سياق التوسع الحضري (urbanisation) تطور هذا الفضاء من خلال الديناميات الاجتماعية والمادية والعقلية التي رافقت الانخراط في السلوك الاحتجاجي من قبل الجماهير وهو ثمرة للقيم والتمثلات التي تم تصورها وتجربتها داخل مكان وزمان الانتفاضة ووسط ساحات الاحتجاج فهو منتج اجتماعي يتم تشكليه اجتماعيا. والفضاء العام هو مكان تفاوض القيم والايديولوجيات والاعراف التي تشكل 'العقد الاجتماعي' لمجتمع ما. فاحتلال الفضاء نفسه يسمح للافراد الذين يشاركون فيه المساهمة في تشكيل وتفاوض هذا العقد[50] فالحركات الجماهيرية في سياق التوسع الحضري تطالب ب 'حقها بالمدينة'[51] الذي يعرفه لفيفر بحق التمتع بال('مسكن') او المكان والزمان اللذان فيهما الحياة الاجتماعية التي لا تقودها منطق القيمة الفائضة (surplus-value) اي الربح والفائدة الاقتصادية الرأسمالية. فهو الحق بفضاء يجتمع فيه الافراد للتعايش ولبناء نسيج اجتماعي بشكل مستقل عن الدولة والحاجة الاقتصادية[52].

لذلك سمح احتلال المحتجين للفضاء في التفاوض على عقد اجتماعي جديد تم خلاله تشكيل نسيج اجتماعي مختلف و بناء روابط وأعراف مجتمعية جديدة يتساوى فيها الفقراء غير المتعلمين مع الطبقة الوسطى المتعلمة، ويتفاعل الرجال والنساء والصغار والكبار دون تمييز داخل أو ضمن فضاء مشترك اقل أبوية وأكثر تحررا و شاملاً للجميع لا يميز بين الناس على اساس الطبقة أو الجندر. تميز هذا الفضاء البديل بانه غير معسكر وشامل من حيث الطبقة والجندر، ولا يقوم على الاستهلاك او منطق الانتاجية (productivité) او الفائدة كما هو الحال في الاسواق والمطاعم والمراكز التجارية وانما يعتمد على خلق

50 Lefevbre, Henri. 1970. La révolution urbaine. Gallimard.
51 Lefebvre, Henri. 1968. Le droit à la ville. Point.
52 Lefevbre, Henri. 1970. La révolution urbaine. Gallimard

روابط وعلاقات اجتماعية جديدة قائمة على التعاون والالفة والايثار وعم التمييز. وهو ما سمح للفئات المهمشة والمستبعدة والمهيمن عليهم الذين يعانون من التمييز بما فيهم النساء من ان يجدوا مكاناً لهم داخل هذا الفضاء وان يحظوا بالاعتراف والاهتمام والتقدير. وان يلتصقوا فيه ويدافعوا عنه .

تفسر سارة الصيدلانية الشابة التي تعمل على اسعاف المتظاهرين في ساحة التحرير ارتباطها بهذا الفضاء:

"اصبح بيني وبين هذا المكان(ساحة التحرير) ارتباط قوي مصدره ما رايته ولمسته من تعاون والفة وتكاتف بين اشخاص لا يعرف بعضهم بعضا ولا تربط بينهم اي صلة اجتماعية ومع ذلك متكاتفين ويحمي ويساند بعضهم البعض عندما ترى كل هذه الصور فانك وبشكل لا ارادي تدمن التواجد في هذا المكان وبشكل لا ارادي تحاول ان تقدم اي شيء ولو كلمة... من المستحيل ان يحضر شخص الى هذا المكان دون ان يبقى ويلتصق به"[53]

في المقابل رحب المتظاهرين الذكور واحتفوا بمشاركة النساء ومثل هذه الحفاوة منبعها المعايير والممارسات البديلة المعارضة للسلطة المهيمنة التي نتجت عن وجود الافراد والاجساد واحتلال الساحات نفسها, والتي تشكك وتعيد النظر ليس في النظام السياسي فحسب بل أيضاً في النظام الاجتماعي والمجتمعي بقواعده ومعاييره الاجتماعية التي تفرض أسلوب حياة محافظ وأدوار منمطة للجنسين وتدعو الى التحرر والانفلات من هذه القواعد . كان المتظاهرون، في الواقع، ينشئون 'أشكال جديدة للدولة' من خلال الخدمات التي يوفرونها في ساحات الاحتجاج كالخدمات الصحية والغذائية بالاضافة الى خدمات حضرية كتنظيف الساحات العامة وتجميلها برسومات ولوحات فنية. كانت ساحات الاحتجاجات للنساء والأفراد من جميع الطبقات فضاء بديلا بعيداً عن التناظر المجزأ والمعسكر والمخصخص الذي يهيمن عليه الذكور والذي تفرضه القوة المهيمنة.

وكانت الانتفاضة بوصفها انتاج لفضاء مادي وخطابي خيالي استطاع ان يزعزع الحدود التي يضعها الفضاء المهيمن , عبارة عن 'فضاء وزمان محددان' (liminal) بحسب تعبير ترنر[54] استوعب وعبر عن مطالب ورؤى ومشاعر كان من المستحيل ان يعبر عنها في الفضاء او الزمان المعتاد وخارج هذا الفضاء البديل. على سبيل المثال تصادق شابة من الطبقة الوسطى من المنصور شاباً من الطبقة العاملة من مدينة الصدر. ويمسك العشاق بأيدي بعضهم في مواجهة الرصاص الحي لقوات الأمن . وسمح للنساء التفاوض داخل وضد الفضاء الاجتماعي المعسكر الموجود بالفعل والذي يسيطر عليه الذكور والمخصخص. واستطعن أن ينسجن فضاءً اجتماعياً غير أبوي يكون شاملاً وحراً وأقل تراتبية من حيث الطبقة والطائفة والجندر. شغلت النساء هذا الفضاء ، بشكل واضح وصوت مسموع. ومارست ادوارا مختلفة فيه، سواء في الخطوط الأمامية كممرضات ومقدمات رعاية يواجهن قوات الأمن العراقية، أو في تولي أدوار أكثر تقليدية مثل الطبخ والتنظيف. و عبّرن عن أنفسهن في أعمالهن الفنية التي تزين ساحات الاحتجاجات.

شكلت ساحات الاحتجاج بالنسبة للنساء المشاركات اليوتوبيا التي حلمن بها والوطن الذي يأملن العيش فيه تقول رؤى المرأة الثلاثينية التي تعمل محاسبة في احدى الدوائر الحكومية:

53 ندوة القافة الجديدة حول انتفاضة تشرين الاول 2019والتي حملت عنوان مع المتظاهرين في ساحة التحرير.ادار الندوة وحررها اسماء جميل وزهير الجزائري.مجلة الثقافة الجديدة العدد 409.كانون الثاني 2020ص ص 8-22

54 Turner, Victor. 1975. Dramas, Fields, and Metaphors. Cornell University Press.

"منحني هذا الفضاء الاحتجاجي ممثلاً بساحة التحرير ، وداخل هذه الصبات الكونكريتية ، منحتني الحماية، اشعر وانا بين هؤلاء الناس بانني آمنة جداً. وبمجرد ان اغادر الصبات الكنوكريتية التي تفصل منطقة الاحتجاج وساحة التحرير امتداداً الى الى ساحة النصر ، اشعر بالقلق والخوف، الخوف من تربص الآخرين بي، ومحاولة اختطافي او اعتقالي، انا هنا ارى واشعر بالامان وارى العراق الذي احلم به، عراقاً مليئاً بالتضامن والتكافل والتآخي والحرص على الممتلكات العامة، اشعر ان هذا الفضاء هو الامل الذي تتوقف عليه حياتنا القادمة ومستقبلنا هذه الانتفاضة هي أملي... ولا اعرف ماذا سيحدث بعدها (تقصد اذا انتهت الانتفاضة دون تحقيق اهدفها)"[55]

و من ضمن هذا ال 'عقد الاجتماعي' الجديد كشفت المعاينة الميدانية لساحات الاحتجاج وتحليل وجهات نظر المشاركات عن عامل مهم اثر في زيادة نسبة مشاركة النساء وخاصة الشابات منهن يتمثل بانتشار قيم الفردية والحاجة الى الاستقلالية والقدرة على الاختيار. مظاهر الفردانية ساهمت وبشكل كبير في اتساع مشاركة الشابات في الاحتجاجات. فالنساء الشابات اللواتي قابلناهن خلال البحث الميداني يعربن عن وجودهن في الساحات بوصفهن أفراد ومواطنين ينتزعن حقوقهن كاي فرد من المجتمع. الشعار "نازل اخذ حقي" مؤشر للنزعة الفردانية التي انبثقت عند الشباب. كثير من الشابات ذهبن الى ساحات الاحتجاج بدون موافقة اهلهن او بدون معرفتهم وهناك علاقات وممارسات وحياة اجتماعية في ساحات الاحتجاج تختلف تماما عن الحياة خارج الساحات. صعود الشعور بالفردانية والمواطنة عند الشابات ظاهرة مهمة في سياق مجتمعي يربط وجودهن وقيمتهن بالجماعة كالعائلة والقرابة.

تعكس المشاركة الواسعة للنساء وبشكل خاص جيل الشابات تحررهن من نفوذ التقليدية ، حتى في اكثر المناطق تقليدية في العراق ووعيهن لذواتهن ومسؤوليتهن عن اختياراتهن متصديات للبنى والتراكيب الاجتماعية التي تحاول اختزالهن بالجماعة واخضاعهن لها. ورغم التطبيق المشوه ساعد التحول الديموقراطي في توفير الظروف المهيئة لنمو الفردانية ببطء وبشكل غير محسوس. فحرية التعبير وظهور خطابات وحركات مدنية تعتمد مباديء حقوق الإنسان كمرجعيات لها. اديا الى تبني جمهور واسع لهذه المفاهيم وتخلصهم من القناعات الكلامية التي تنتجها الجماعات التقليدية من ناحية اخرى ادت الضغوط الاجتماعية والاقتصادية التي رافقت التحولات التي مر بها المجتمع العراقي الى ان اصبح الفاعلين الاجتماعيين اكثر اعتمادية على انفسهم في تحقيق حاجاتهم وفي تعهدهم بحياتهم الخاصة. هذا ما اضعف الروابط العائلية، وقلل من تاثير الجماعات القرابية على الفرد، ومنح الأفراد، وبشكل خاص النساء والشابات منهن على وجه التحديد القدرة في اعادة صياغة هويتهن بمعزل عن الضغوط والقيود التي جهزت لهن هويتهن.

الاستعمال الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي كان له دورا مهما وربما حاسما في توليد الفردانية عند النساء. اذ شكلت هذه الوسائل حواضن بديلة لنمو وتشكيل شخصية الأفراد بعيداً عن الامتثالية الاجتماعية والأطر التقليدية. غير إن التأثير الأهم يرتبط بالدرجة الأساس بالتغيرات الاجتماعية التي احدثتها على بنية السلطة داخل العائلة. اذ ادت كما توضح (نهاوند القادري عيسى) الى تفكيك النموذج العائلي البطريركي القائم على سلطة الاب لصالح عائلة أكثر مساواة, بعد ان انشأت الحدود داخل المنازل وخلقت نوعا من التمايز الذي

55 ندوة القافة الجديدة حول انتفاضة تشرين الاول 2019والتي حملت عنوان مع المتظاهرين في ساحة التحرير.ادار الندوة وحررها اسماء جميل وزهير لجزائري.مجلة الثقافة الجديدة العدد 409.كانون الثاني 2020ص ص 8-22

ساهم في تبلور هوية كل فرد، هذا أدى إلى تراجع قدرة الأسرة كمؤسسة على فرض نموذجا على أعضائها وصب شخصياتهم في قوالب جاهزة. وكان من نتائج ذلك اعادة تعريف الأدوار الاجتماعية وبناء الهوية الجندرية[56]. كما نتج عن الاستخدام الكبير لوسائل التواصل أن أصبحت حاجة الفرد إلى الاستقلالية موازية اذ لم تكن اكبر من حاجته للانتماء إلى مجموعة اجتماعية. وفرت شبكات الانترنيت المساحة الآمنة للنساء لان يعبرن عن ذواتهن ويعدن تعريفها كما يرينها و يردنها لا كما يريدها الآخرون. وهذا جوهر الفردية ومعناها، كما أتاحت الفرصة للمرأة المستبعدة عن الشأن العام وغير القادرة على البوح لان تظهر وتعبر عن رأيها. ولم يكن صعبا بعد ذلك انتقالها من الفضاء الافتراضي(شبكات التواصل) إلى الفضاء الاحتجاجي(ساحات التظاهر).

وتوضح تجربة (صفا) التدريسية الشابة في الجامعة التكنلوجية هذا التحول من الفضاء الافتراضي إلى الفضاء الاحتجاجي:

> "لا اعرف كيف تغيرت. قبل سنة فقط كنت أشارك في النقاشات على صفحات التواصل الاجتماعي و أعبر عن غضبي من خلال هذه الشبكة. ولكن لم تكن لدي الجرأة للنزول والمشاركة في ميدان التظاهرات"

منذ بداية انتفاضة أكتوبر، قُتل أكثر من 700 متظاهر أعزل، معظمهم من الشباب، بالرصاص الحي أو قنابل الغاز المسيل للدموع التي استخدمتها قوات الأمن العراقية والميليشيات التابعة لها، وهناك أكثر من 25,000 جريح ومئات المختطفين والمفقودين. وقد زاد العنف المميت والترهيب من تصميم المتظاهرين: فسرعان ما أصبح تكريم شهداء الثورة أحد شعاراتها الرئيسية. وكان صفاء السراي من أوائل الشهداء والشخصيات المهمة في الاحتجاجات، وهو "ابن ثنوة" في إشارة إلى والدته ثنوة بدلاً من الإشارة إليه على أنه ابن والده. أصبح "ابن ثنوة" الآن اسماً شائع الاستخدام لوصف الثوار وتشير العديد من ألقاب المتظاهرين إلى أمهاتهم بدلاً من أسماء آبائهم. يوضح هذا المثال أن الانتفاضة لم تنتج فضاءً مادياً وخطابياً فحسب، بل أيضاً فضاءً خيالياً يتحدى التمثيلات والممارسات الجندرية السائدة.

في التجارب الفردية والجماعية المتنوعة والغنية في ساحات الاحتجاجات، تجاوزت الانتفاضة المطالب السياسية الضيقة، ولم يشكك الثوار في القمع الاقتصادي والسياسي الذي يُمارس من خلال الفساد والمحسوبية والتمييز فحسب، بل شككوا أيضاً في النظام الاجتماعي والمجتمعي للنظام وهي القواعد التي تفرض أسلوب حياة معياري ومحافظ. يطالب المحتجون العراقيون بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية، وخدمات حكومية فاعلة مثل الرعاية الصحية والتعليم والإسكان والتوظيف وما هو مطلوب لعيش حياة كريمة. كما يطالبون بالحرية، حرية ألا يُقتَلوا بسبب الدين أو الطائفة التي ينتمون إليها أو يرفضون الانتماء إليها، وحرية التدين أو عدم التدين، وحرية أن يرتدوا ما يحلو لهم، والتنقل عبر الحدود الاجتماعية والطائفية وحرية الاختلاف.

النساء والنسوية في الانتفاضة

56 نهاوند القادري عيسى: النساء في الفضاءات العامة/ هوامش مضاءة . كتاب باحثات. الكتاب الخامس عشر(جداول للنشر والترجمة .بيروت 2011- ص 162/161

غياب اجندة نسوية

كيف نفهم المشاركة المكثفة للنساء في انتفاضة أكتوبر في ظل غياب أجندة تركز على النساء؟ إن مشاركة النساء في حد ذاتها لا تجعل الاحتجاج نسوياً أو يتمحور حول مصالح النساء. اذ سبق ان شهدت الساحات والشوارع في عراق ما بعد الغزو تنظيم لتظاهرات نسائية واحتجاجات تطالب بتغييرات قانونية تتعارض و تبدو متناقضة مع المصالح المباشرة للنساء من ناحية الحقوق القانونية مثل التظاهرات النسائية المؤيدة لاقرار القانون الجعفري. وقد سبق للنساء المتبنيات لايديولوجيا الاسلام السياسي ان تصدين لاعتصام نظمته ناشطات في الحركة النسائية في ساحة الفردوس في بغداد حول مساواة النساء بالرجال في الدستور العراقي خلال مراحل كتابته في صيف 2005 وحملن لافتات كتب عليها لا للمساواة . وعلى الرغم من محدودية هذه الحوادث والتنظيمات كما يبدو، غير انها يمكن ان تقدم مثال على احتجاج النساء ضد مصالحهن وحقوقهن القانونية مقابل الدفاع عن هويتهن الشيعية.

معظم النساء المشاركات في الانتفاضة لم يدافعن عن أجندة نسوية واضحة أو يؤطرن مشاركتهن بطرح مباشر لقضايا تخص الجندر. واعتبرت بعضهن ان هذه الاحتجاجات تسعى لاستعادة الوطن الذي هو أكبر من اية قضية أخرى وان المطلب العام المتمثل (إنريد وطن) لا يخص الرجال وحدهم كما تبرر امرأة اربعينية موظفة في القطاع العام , وهي لا تختلف بذلك عن الناشطات النسائيات المعروفات اذ تقول سها العزاوي" لا يوجد مطالب نسائية لان اسقاط النظام هو أكبر من مطالبنا كنساء وان دم الشباب الذي سال أهم من قضايانا كنساء"

كيف يمكن ان نفهم المشاركة المكثفة للنساء في انتفاضة أكتوبر إلى جانب غياب أجندة تركز على النساء؟ لم تكن هذه هي المرة الاولى فمشاركة النساء الواضحة والمؤثرة في احتجاجات 2015 لم تحمل اية شعارات أو مطالب ذات مضمون جندري او نسوي بل اعتبرت الناشطات ، أن رفض المحاصصة الطائفية. الاثنية التي كانت مركزية في احتجاجات 2015 يمكن عدها مطالب نسوية. بالنسبة لهن، يعتبر الربط بين المساواة الاجتماعية والاثنية - الطائفية والمساواة بين الجنسين في قلب السياسات النسوية في عراق اليوم. وقد تحلل هذه المطالب في اطار النسوية التقاطعية التي تربط مسألة المساواة الجندرية بالمساواة العرقية او الاثنية والطبقية. فمن الممكن وصف هذا الموقف من قبل النساء المشاركات في انتفاضة تشرين بموقف نسوي تقاطعي.

كما ان غياب الاجندة النسوية ليس خاصاً بالسياق العراقي، وانما كان من القضايا الملفتة في انتفاضة 2011 في مصر57. وقد حللته نرمين علام، باعتمادها مفهوم "إطار العمل الجماعي" الذي تم تطويره في تحليل الحركات الاجتماعية لفهم عملية التعبئة الجماعية للأفراد إزاء المطالب المشتركة.وتجادل بأن غياب قضايا الجندر من "إطار العمل الجماعي" للنساء المصريات لم يكن علامة على الإكراه أو السلبية أو النشاط المضلل، بل كان بالأحرى نتيجة "لإطار من الصدى" (وهو في حد ذاته نتيجة تأطير موروث) والفرص السياسية والتجربة الذاتية للنساء خلال 18 يوماً من الانتفاضة في مصر. وتشير نرمين علام أيضاً إلى أن الفاعلية غامضة حتماً وغالباً ما تنطوي على جوانب متناقضة لا يمكن فصلها بسهولة. إن مكانة النساء

57 See Allam, Nermin. 2017. *Women and the Egyptian Revolution: Engagement and Activism during the 2011 Arab Uprisings,* Cambridge University Press.

ومصالحهن ومطالبهن وهوياتهن ليست ثابتة، بل يتم تجديدها باستمرار عندما تتفاعل النساء مع المشاركين الآخرين ويتفاوضن على الهياكل والعلاقات المعقدة

وتشير علام إلى أن الشعارات الموحدة للانتفاضة المصرية ليست فقط لا مبالية بالجندر ولكنها أيضاً "عديمة اللون" (بدون صبغة محددة) بمعنى أنها تصور سردية وطنية تنحي جانباً الاختلافات العرقية والجنسية والطبقية والدينية. بالنسبة إلى نرمين علام، يجب فهم تأطير النساء لمشاركتهن في انتفاضة 2011 ضد هذا الخطاب العام الموحد. وعلى الرغم من أن تسييس الاختلافات العرقية - الدينية، خاصة بين الأغلبية السنية المسلمة والأقلية القبطية يختلف اختلافاً كبيراً عن سياسات الهوية العرقية والدينية والطائفية في العراق، فإن التركيز على توحيد الشعارات الوطنية أمر شائع في كلتا الانتفاضتين. في الواقع، كلتا الانتفاضتين لا تعملان على تعبئة هويات طبقية محددة، وتخلطان بين الطبقي والعرقي والطائفي والجندري في إطار "الوطن."وهكذا، لم تتجاهل المتظاهرات المصريات والعراقيات أجندة تركز على النساء فحسب، بل أيضاً أي أجندة خاصة بطبقة أو هوية محددة. في العراق، يشير شعار الانتفاضة "إنريد وطن" إلى هذا الرفض وخيار التجمع حول شعار موحد يعزز مطلب مشترك بدلاً من سلسلة مطالب. في حالة العراق أكثر من الحالة المصرية، يشير مصطلح "الوطن" الذي يُنادى به ويُؤدى في ساحات الاحتجاجات إلى تجربة مجتمعية في مداواة صدمات العنف المسلح والسياسي. إنه رد فعل على السردية الجنس-طائفية المثيرة للانقسام وسياسات المؤسسة السياسية.

وبهذا المعنى، يصبح "الوطن" نقيض الجنس-طائفية، وما هو مناهض للجنس-طائفية، وبهذا المعنى يمكن فهمه على أنه يتحدى الأعراف الجندرية دون أن يكون خاصاً بالجندر. أشاد المتظاهرون بالتنوع العمري والجنسي و الطبقي حيث إن ساحات الاحتجاجات تشكل فضاءات يلتقي فيها العراقيون ويجتمعون للتفاوض على "عقد اجتماعي." إن النساء اللواتي شاركن في الانتفاضة يأتين من خلفيات متنوعة: من الأم غير المتعلمة في منتصف العمر التي ترتدي عباءتها السوداء وتطبخ للمتظاهرين إلى الطالبة المثقفة من الطبقة الوسطى التي تقود النقاشات حول إصلاح قانون الانتخابات والشابات من العائلات المحافظة واللواتي يتحدين قواعد الملبس السائدة. وتشترك جميعهن في فضاء مشترك، ويضعن الاستراتيجيات وينظمن الاحتجاجات الأسبوعية.

تحت خيام قليلة مثل "خيمة نساء الانتفاضة،" تتم مناقشة الأجندات النسوية التي تعالج قضايا معينة تتعلق بحقوق النساء، بينما تحت معظم الخيام، تعتبر النساء أن الثورة تقوم بتغيير العراق بالفعل وأن تحقيق أهدافها سيفيد النساء إلى جانب الرجال. كما احترم الناشطون النسويون في مجموعات منظمة رسمياً أثناء تواجدهم في ساحات الاحتجاج الطبيعة غير الرسمية والمفتوحة للانتفاضة التي ترفض أي نوع من الانتماءات. إن تنوع مشاركة النساء، سواء كن يشاركن كأفراد أو كعضوات في مجموعات حقوق النساء، واضح في عملية التعبئة لليوم العالمي للمرأة الذي يُظهر أن المصطلح المحدود "المرأة العراقية" المستخدم تاريخياً، غالباً من قبل الأجندات السياسية الذكورية، سواء كانت علمانية أو إسلاموية، يتم استبداله في الواقع بمصطلح "النساء العراقيات" الأكثر شمولاً.

معارضة "استعادة الذكورية"

كما في ساحة التحرير في مصر خلال ال 18 يوم الاولى للانتفاضة، شعرت النساء العراقيات في ساحات الاحتجاج بالامان والراحة وباستقبال جماهيري لمشاركتهن خلال الاسابيع الاولى للاحتجاجات. في مصر سرعان ما تبدد هذا الشعور بالامان وبعد اسابيع قليلة تفاقمت الهجمات والاعتداءات الجنسية كأنها تهدف الى اعادة النساء الى مكانتهن السابقة او اسوء. وهذا الذي حدث بعد انتهاء الاشهر القليلة من انطلاق انتفاضة اكتوبر في العراق اذ سرعان ما تصاعدت الهجمات المعارضة للنساء. على سيل المثال تحول هاشتاغ #بناتك_يا وطن الذي تم إطلاقه للاحتجاج النسائي إلى #عاهراتك_ياوطن.

ووظفت منصات التواصل الاجتماعي للنيل من الناشطات والمشاركات في الاحتجاجات واتخذ العداء اشكال عدة منها التهديدات بالتصفية الجسدية لهن أو لافراد عائلتهن و الاتهامات المسيئة للسمعة والاخلاق او الشتائم والاهانات اللاذعة ذات الطبيعة الجنسية, وكان واضحا ان اي منشور يصدر من امرأة او يدور موضوعه حول المرأة أو تعلق عليه امرأة أو صورة تظهر شجاعة النساء المشاركات في الاحتجاجات حتى تنهال عليهن ردود الافعال والتعليقات المسيئة. وبقصد تشويه صورة الناشطات والحاق العار بهن يتم نشر صور ذات طبيعة جنسية والادعاء ان احداثها وقعت في ساحات الاحتجاج كما تم استهداف الناشطات البارزات بنشر صور مفبركة على صفحات التلغرام او الادعاء بوجود فيديوهات اباحية لهن منشورة على هذه الصفحات.

فضلا عن الطابع الجندري للقمع السياسي للانتفاضة الذي واجهته المتظاهرات ابتداءا من الخطاب الذي يصف مشاركتهن على انها خرق للاعراف الاخلاقية السائدة الى العنف السياسي كالخطف مثل ما حدث لصبا مهداوي وماري محمد أو القتل كما حدث لسارة طالب وزوجها عادل ومؤخراً ريهام يعقوب في البصرة وزهراء علي في بغداد.

وبالخطاب ذاته أدان القادة السياسيون الإسلامويون الاختلاط بين الجنسين أثناء الاحتجاج، بمن فيهم الزعيم المثير للجدل مقتدى الصدر. من خلال منع الاختلاط بين الجنسين وتسمية صوت النساء على أنه "عورة" – أي أنه ينتمي للمجال الخاص، وسعت الجماعات السياسية الإسلاموية إلى تعريف مشاركة النساء في الاحتجاج على أنها انتهاك للأعراف الدينية. وقد سخر المتظاهرون من هذه التصريحات من خلال شعار: "لا مو عورة صوتج ثورة." إن الوجود الواضح للنساء في المظاهرات وساحات الاحتجاجات في مثل هذا السياق هو أمر تمردي، وهو تحد للممارسات والأعراف الجندرية السائدة.

تصف دنيز كنديوتي هذه الظاهرة على انها "استعادة الذكورية" وتحللها بوصفها رد فعل ومحاولة من السلطة الابوية لاسترجاع هيمنتها بعد ان تهددت نتيجة لما كسبته النساء من فضاء او حقوق او مساحة للتعبير عن انفسهن وفرديتهن. دفعت الاعتداءات والمضايقات التي تعرضت لها المتظاهرات الى رفعهن شعارات وهتافات لها طابع جندري في محاولة للدفاع عن انفسهن ووجودهن داخل الحراك. فعلى جدار النفق المؤدي إلى ميدان التحرير، وعلى اللافتات التي حملتها الشابات أثناء الاحتجاجات، يمكن قراءة الجملة التالية "نساء ثورة أكتوبر ثائرات لا عاهرات."إن أهمية مشاركة النساء العراقيات في الانتفاضة هي نتاج لموقفهن المتقاطع، حيث يواجه الذكور العراقيون تحديات على أساس الطبقة والطائفة والدين وما إلى ذلك، بينما تواجه النساء هذه التحديات مضافا لها القمع الأبوي. يتعين عليهن "المساومة مع النظام الأبوي"

كما أشارت دنيز كانديوتي[58] والتفاوض داخل وضد الفضاء الاجتماعي المعسكر الموجود بالفعل والذي يسيطر عليه الذكور والمخصخص.

الخاتمة

فرضت الحروب وفترة العقوبات قيودا اجتماعية وأقتصادية اضافية على النساء أثرت في مشاركتهن الكاملة والمتساوية في الحياة العامة . حسب كلمات دنيز كانديوتي، "المطرقة والسندان": "يتعين عليهن الكفاح من أجل حقوقهن القانونية الرسمية التي تتعرض لتهديد مستمر من القوى الاجتماعية المحافظة وحقوقهن الأساسية في الأمن وكرامة الإنسان التي أصبحت ضحية فوضى انعدام القانون المتوطنة والإفلات من العقاب في مجتمعاتهن"[59] . انتجت الانتفاضة كظاهرة حضرية فضاءً اجتماعياً. استعادت من خلاله المتظاهرات فضاءً معسكراً ومخصخصاً وذكورياً. من خلال إنتاج فضاء اجتماعي بديل وعام وشامل وبعيد عن العنف المسلح. الانخراط في الفعل الاحتجاجي مكن النساء من تحدي الهيمنة الذكورية وساهم في ادراكهن لتمثلات جديدة بعد التحولات الفردية التي رافقت مشاركتهن فلم تعد تلك المتماهية مع قيم الذكور في العائلة وخطت لنفسها نهجا مستقلا ومتعارضا احيانا مع موقف الابناء والزوج .خروج النساء الى ساحات التظاهر هو شكل من اشكال المقاومة والرفض للعنف الهيكلي الذي عانت منه النساء جراء الحروب والعقوبات الاقتصادية والاقتتال الطائفي, والفساد المتغلغل في كل مفاصل الحياة. فهي المتضرر الاول وصاحبة المصلحة في التغيير.

اختارت النساء، جنباً إلى جنب مع الفئات الاجتماعية الأخرى في الغالب، الوقوف خلف الشعار الموحد "إنريد وطن" للتعبير عن مطالبهن بنظام سياسي جديد قائم على المساواة. كما تطالب بالحرية الدينية والسياسية والعدالة للذين قُتلوا أثناء الاحتجاجات السلمية. هذه المطالب، العامة، جعلت من الممكن للنساء والرجال من خلفيات اجتماعية وأيديولوجية مختلفة أن يجتمعوا دون الاضطرار إلى التعامل مع قضايا أكثر إثارة للانقسام .هل فوتت النساء فرصة للدفاع عن أجندة تركز على النساء؟ على الرغم من الزخم النسوي الذي شهدته ساحات الاحتجاجات في العاصمة غير انه لم يتم الافادة من هذا الزخم والبناء عليه للعمل على ردم التفاوتات بين الجنسين فالمشاركة النسائية وحدها لا تحدث التغيير. وعجزت النساء عن تنظيم انفسهن في تشكيلات جمعوية وروابط منفصلة عن الرجال ليتمكن من تمثيل مصالح النساء. ولم تندمج هذه الكتل النسائية ولم تشكل جبهة واحدة ليتمكن من الوصول الى اهدافهن في انشاء الشروط اللازمة لاقامة علاقات قائمة على المساواة .

وظلت كل مجموعة تعمل بمفردها وتقاوم اندماجها في تحالف نسائي أكبر وترفض المشاركات من انصار التيار الصدري اللاتي يشكلن مع النساء المدنيات(شيوعيات وعضوات رابطة المرأة وناشطات نسويات) كتلة نسائية تشارك سوية في الاحتجاجات منذ عام 2011 رغم الاختلافات الايديلوجية فيما بينهم، ترفض ان تكون لهن جبهة " ليس لنا خلية نسوية ولا نشكل جبهة نحن عراقيين اولا واحرار وما دفعنا للمشاركة هو حب العراق والرغبة في اعادة بناءه بنائه". ولم يشهد الحراك الشعبي في بغداد بناء تحالفات للتنظيمات

58 Deniz Kandiyoti. 1988. Bargaining with Patriarchy. Gender and Society (2:3) pp.274-290.
59 Kandiyoti. 2007. Between the Hammer and the Anvil: Post-Conflict Reconstruction, Islam and Women's Rights. Third World Quarterly 28(3): 503–17.

نسائية الموجودة أصلا والمشاركة في الاحتجاجات على الرغم من أهمية توحيد الجهود لتطوير خطاب نسوي واجندة نسوية للحراك ، ولم تنخرط الناشطات الشابات مع التنظيمات النسائية التي تمثل المجتمع المدني القديم .

لم تكن التفاوتات الجندرية العميقة التي رسخت لأوجه عدم المساواة بين الرجال والنساء في العراق هي الدوافع الاساسية المحركة للفعل الاحتجاجي عند النساء وربما كان هذا أحد العوامل المفسرة لغياب اجندة نسوية في احتجاجات تشرين, ومع ذلك يمكن قراءة المشاركة الواسعة للنساء في الاحتجاجات، على انه تعبير عن الرغبة والسعي الى المساواة الجندرية، ليس بوصفها مطلباً أو شعارات ترفع في ساحات الاحتجاج وانما بوصفها ممارسة يمكن ان تتحقق عن طريق الانخراط بالفعل الاحتجاجي نفسه ومشاركة الرجال في تشكيل مشهد التظاهرات وبناء مسار التحول ،وحرص المتظاهرات الذي كشفت عنه المقابلات التي اجريت مع عدد منهن على ان لا يكون هذا المشهد ذكوريا، وان لا تقتصر الساحات على الرجال فقط، بل ان بعضهن اكدن ان مشاركتهن محاولة للمساواة و المناصفة والتشارك مع الرجال في الموت (المصير).

انعكست التفاوتات الجندرية على طبيعة مشاركة المراة كما هو واضح في عائليتها اذ يمكن القول ان نسبة كبيرة من المشاركات في حراك تشرين في بغداد ومعظم المشاركات في المحافظات يمثلن جزء من شبكة علاقات عائلية منخرطة في الفعل الاحتجاجي، وغالبيتهن زوجات او امهات او اخوات لمتظاهرين متواجدين في ساحات الاحتجاج. كما انعكست هذه التفاوتات في طبيعة الادوار التي مارستها المرأة وتموضعها داخل الاحتجاجات فعلى الرغم من ان النساء شاركن في كافة مظاهر الحراك كالاعتصام والتظاهر والهتاف وتصدرت صفوف المتظاهرين بالقاء الاهازيج التي يرددها من خلفها المتظاهرين غير انها بقيت في أطار دور المساند وليس الشريك المساهم في اتخاذ القرارات . وظلت الادوار رغم تنوعها غير انها لا تخرج عن اطار الادوار التقليدية وامتداد لادوارها الجندرية داخل المنزل مثل الطبخ والتنظيف وغسل الملابس والتطبيب واسعاف المتظاهرين.

غير ان الوعي بهذه التفاوتات وضرورة التصدي لها بدأ يتشكل داخل الفعل الاحتجاجي نفسه حيث بدأت المطالب النسوية تتبلور وقضايا الجندر بدأت تطرح وبشكل مباشر في الشهرين الاخيرين للانتفاضة وتحديدا في نهاية يناير خاصة بعد الهجمات التي تعرضت لها النساء من قبل انصار التيار الصدري ومطالبتهم بالعزل الجنسي داخل ساحات الاحتجاجات ومنع تواجد النساء في خيم المعتصمين والاعتداء على الشابات بالضرب بحسب شهادات , بعد اربعة اشهر من الانتفاضة تأسست أول خيمة اعتصام خاصة بالنساء ولايدخلها الذكور وهي خيمة (سومريات) مثلت محطة استراحة للمحتجات وتناقش فيها قضايا تخص المرأة مثل قضية حضانة الاطفال كما نظمت النساء الشابات تظاهرة نسائية ضخمة حملت شعار بناتك يا وطن شاركت فيها الالاف من النساء ردا على الاعتداءات والهجمات التي نالت من مشاركة المرأة والتي وظفت لتسقيط التظاهرات وتشويه صورتها.

وهذا الوعي النسوي من الممكن ان يشكل نواة لحركة نسوية جديدة ذات قاعدة جماهيرية تتجاوز الاطر والتنظيمات القديمة وانما تعتمد على الحراك الشعبي نفسه للدفاع عن قضايا النساء(بدأت بوادرها بالفعل من خلال تشكيل حراك انتفضي, ومجموعات نسوية تقودها الشابات مثل مجموعة تشرينيات كما طرحت فكرة تشكيل اتحاد للنساء اسوة باتحاد الطلبة الذي كان من أهم الهياكل المجتمعية التي انتجتها الانتفاضة.

في العراق وكذلك في جميع أنحاء المنطقة، لم تُترجم المشاركة الواسعة للنساء في النضالات القومية والمناهضة للإمبريالية في الأربعينات والخمسينات في تمثيلهن السياسي وحقوقهن السياسية والاجتماعية. في الواقع، غالباً ما يتم دفع مطالب النساء جانباً لصالح المطالب التي يعتبرها الناشطون الذكور أكثر أهمية. كما أشار الكثيرون، فإن الخطابات المناهضة للاستعمار والقومية قد حدت في الواقع من أجندة حقوق النساء إن لم تعارضها. هل انتفاضة أكتوبر هي فرصة أخرى ضائعة على النساء لتقديم مطالبهن الخاصة؟ أولاً، كما أشارت نرمين علام في حالة الانتفاضة المصرية، فإن غياب ما هو خاص بالجندر هو "نتيجة إطار من الصدى."[60] لقد عبّرت المتظاهرات العراقيات عن مطالبهن في الإطار المتاح لهن. إن فاعليتهن وتموضعهن، كما هو الحال بالنسبة لأي فئة اجتماعية أخرى، مبهم ويعتمد على سياقهن الاجتماعي والسياسي. وبالاضافة الى ذلك لقد كان الرصاص الذي طال المتظاهرين في الاحتجاجات الدافع الاساسي وراء قرار المشاركة لديهن والرغبة في حماية المتظاهرين هو المحرك الاول لمشاركتهن. فمشاركتهن تفسر في اطار انتاج فضاء بديلا يعارف العنف الذي يصير على حياة العراقيين.

من الضرــوري الافادة من الزخم الاحتجاجي والبناء عليه للعمل على رفع المطالب النســوية كجزء من مطالب الحراك وبما يعمل على التنبيه للتفاوتات بين الجنســين والعمل على ردمها فالمشــاركة النســائية وحدها لا تحدث التغيير. وعلى التنظيمات النسـائية المشـاركة في الاحتجاجات ان تتحالف لتطوير خطاب نســوي واجندة نســوية للحراك . وان تجد الطرق والاليات لاســتقطاب الناشــطات الشــابات ضــمن تشـكيلاتها. ومن المهم ايضـاً الافادة من الوعي النسـوي الذي تشـكل أثناء الاحتجاجات لتشـكيل هياكل مجتمعية نســوية جديدة ذات قاعدة جماهيرية تتجاوز الاطر والتنظيمات القديمة وتعتمد على الحراك الشعبي نفسه للدفاع عن قضايا النساء

60 See Allam, Nermin. 2017. *Women and the Egyptian Revolution: Engagement and Activism during the 2011 Arab Uprisings,* Cambridge University Press.